محمد جلال كشك

الفضيحة

هيكل يزيّف التاريخ لحساب الملك حسين

المكتبة الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

سواء أكانت الولايات المتحدة قد دبرت وأعدت ونفذت حرب الخليج كما نعتقد وكما قلت فى كتابى « **الجنازة حارة** » أو أنها — كما يقول عامة الكتاب — فوجئت بالغزو العراقى للكويت فرأتها فرصة سانحة هبطت عليها من السماء لتنفيذ أهدافها فى العراق والمنطقة ، وطرح صيغتها للعالم الجديد الذى تهيمن عليه واشنطن.. فقد كان تعاون صدام حسين شرطاً ضرورياً لنجاح المخطط الأمريكى ، فلولا احتلاله للكويت لما وجدت مشكلة الوجود الأمريكى أصلًا ، ولولا إصراره على رفض الانسحاب لما قامت الحرب ولا دمر العراق ولا احتل الخليج إلى آخر ما يندبه أنصار صدام حسين كاذبين ونحن أكثر إدراكاً منهم لهول الكارثة التى أنزلها صدام بالمنطقة والأمة العربية .. ولقد اكتشفنا منذ اللحظات الأولى وبمجرد اتضاح نية الولايات المتحدة فى المواجهة العسكرية مع صدام انه لا مخرج ولا انقاذ للعراق والمنطقة إلا

بالضغط على صدام حسين للانسحاب فوراً وبلا شروط قبل أن تكمل الولايات المتحدة استعداداتها العسكرية والسياسية والإعلامية .. ولكن لأسباب عديدة نعرف بعضها ويخفى علينا بعضها ، تشبث صدام بالبقاء فى الكويت ورفض كل العروض التى قدمت له لإنقاذه وانقاذ العراق .. وبوسائل عديدة لا نعرف أيضاً كل تفاصيلها فقد أمكن إبقاء صدام فى مصيدة الكويت حتى أنزلوا بالعراق ضربتهم ، بعض الذى نعرفه من هذه الأساليب ، هو إقناع صدام حسين بأن الرأى العام ، ونصف الدول العربية معه وإنه لن يواجه بموقف إجماعى من الجامعة العربية ، بل إن الجامعة العربية ممزقة وغير قادرة على اتخاذ قرار بالاجماع ضده ، ومن ثم فإن أمريكا لن تستطيع محاربته وما عليه إلا البقاء فى الكويت حتى تفرض تسوية ما على حساب الكويت تحفظ بطولته على الصعيدين العراقى والعربى ، تسوية على طراز انتصار عبد الناصر فى حرب ١٩٥٦ .. وقد نجح المخطط وبقى صدام يرفض الانسحاب إلى أن دمر العراق وقبل صاغراً الشروط التى لم تفرض ولا على مهراجات الهند فى القرن الثامن عشر ..

كان الفهم السليم هو أنه منذ اتخذ الرئيس بوش قراره بتحرير الكويت ورفض أى تسوية إلا الانسحاب الكامل وإعادة الوضع لما كان عليه قبل الغزو العراقى ، وبعد أن نال هذا الموقف

مباركة الأمم المتحدة فى أغلبية لم يسبق لها مثيل ، ثم الظرف العالمى الذى جعل الاتحاد السوفيتى أكثر تضامنا مع واشنطن من كندا .. فى ظل هذه الظروف لم تكن هناك إمكانية لتسوية أو حل عربى ، لم يعد الخلاف عربياً ولا الحل عربياً .. أصبح المخرج الوحيد كما قلنا هو النزول عند إرادة المجتمع الدولى وحقائق الحياة ، والانسحاب فوراً وبلا مساومة أو مماطلة .. أما الجبهة الأخرى بما فيها من مغفلين مخلصين ومتآمرين عتاة فقد ظلوا يغررون بصدام وبعض العرب بحجة الحل العربى .. ومن هؤلاء كان محمد حسنين هيكل والملك حسين الذى أدهش موقفهما المراقبين فى حينه الذين مازالوا يتذكرون ، ما قاله هيكل فى الملك حسين . ولم يكن تلاقى هيكل والملك حسين بالذى يدهشنا باعتبار وحدة المصدر .. فهذا هو الوضع الطبيعى ، وما كان السبب بينهما خلال الأربعين عاماً الماضية إلا تقسيم أدوار لجر أمة العرب إلى ما تحقق من دمار وبوار .. فهما يتنابذان إذا كان ذلك يجلب الخراب للعرب ، وهما يتفقان لتحقيق الدمار لنفس العرب ! وإنما الذى أدهش أنهما كانا على رأس معسكر الرفض والثوار المؤيد للعراق المعارض للدول الخليجية والولايات المتحدة ، على غير العادة ، وغير المتوقع على ضوء التاريخ والمعلومات .. وكنت قد ناقشت موقفهما وتصديت للرد على أقاويلهم ، كما كشفت الخطة الحقيقية التى فرضت على الملك

حسين بالذات أن يلعب الدور الذى رسم له فى حرب الخليج .

على أية حال لقد شرحنا وجهة نظرنا فى موقف الملك حسين وتصدينا لدعاوى هيكل خلال حرب الخليج .. كما سيرى القارىء ، ولكن بعد انتهاء حرب الخليج وبعد صدور دراستنا[1] عنها بتسعة شهور أصدر هيكل كتابه عن هذه الحرب بالإنجليزية ، وهو الكتاب الذى قوبل فى البداية بإهمال تام من الصحافة العالمية فلم تعلق عليه صحيفة واحدة ، وهو الكتاب الذى كما قلنا ليس له مصادر بل مجموعة حكايات تفتقر للأمانة والمراجع ، فلما أشرنا إلى إهمال الصحافة له يبدو أنه ألح فى ضرورة الحديث عنه فكتبت الصنداي تايمس التى يملكها اليهودى المعروف روبرت مردوخ وهو نفس المالك لدار النشر التى طبعت كتاب هيكل والذى يصر على وصفها بأنها أكبر دار نشر فى العالم ويكرر ذلك أكثر من مرة مع أن ذلك غير صحيح وقد اتصلنا بالدار وهى **Harber Collins** فنفت المتحدثة باسمها هذا الشرف وقالت : « إذا أردت السلامة فقل إننا واحدة من أكبر خمس دور نشر فى العالم » والذين لا يعرفون هيكل ونفسيته لا يفهمون هذا الحرص على الكذب .. ألا يكفى أنها دار نشر كبرى ؟!

---

(١) « **الجنازة حارة** » يونيو ١٩٩١ .

كتبت الصنداي تايمس تعليقاً سخرت فيه من الكتاب وتمنت أن يكون هيكل قد بدأ يتعلم .. والكلمة بعنوان : « **أحلام اليقظة** » بقلم المعلق السياسى دافيد برايس جونز وبدأها بالإشارة المعروفة عن البوربون الذين لم ينسوا ولا تعلموا وهيكل كبوربونى عربى لم ينس ولكنه بدأ فى هذا الكتاب خطوة نحو التعلم هى خطوة متعثرة ولكنها أفضل من بلاش .. ويستمر الكاتب فى السخرية من منطق هيكل .. إلى أن يقول : « وفى عرضه للمناورات الدبلوماسية للحملة يقدم هيكل اسكتشات شيقة بل ومسلية عن زعماء العالم وهم يهرعون للتليفون ينثون لبعضهم البعض مخاوفهم وحساباتهم وهو لا يقدم أى مصدر لهذه المحادثات الخاصة التى لا يمكن التحقق من مصداقيته عنها ، ولكن لا ضير فالأمر لا يخرج عن هذا الذى تخيله ! » وينهى تعليقه بأن هيكل الذى كان بوقاً لعبد الناصر بإعلانه ـــ فى هذا الكتاب ـــ أن الديمقراطية هى الحل يكون قد خطا الخطوة الأولى فى التعلم بصرف النظر عن كتابه[1] .

فور صدور كتاب هيكل بالإنجليزية ودراستنا له قلنا إنه دعاية للملك حسين ومحاولة لتحميل مصر مسئولية حرب الخليج .. ثم لما بدأ نشره مسلسلاً فى مصر أدركنا على الفور أنه سيعمد ـــ كعادته فى التزوير والتلفيق والتبديل ـــ إلى حذف

---

(١) صنداى تايمس ٢٤/٥/٩٢ .

أجزاء منه وهى الفاضحة التأييد للملك حسين والفاضحة الافتراء على مصر وتوقعنا أنه لن ينشرها فى مصر وكتبنا مقالتنا الأولى بعنوان : « ما لن ينشر فى مصر من كتاب هيكل .. » وذلك قبل أن يصدر كتابه بالعربية .. وتحقق ما قلناه حرفياً ! لا لأننا نشم على ظهر إيدينا ، بل بالأحرى لأننا نشم على ظهر يده هو .. نحن من مدرسة مخالفة تماماً لمدرسة هيكل منذ كان فى خدمة الملك فاروق ، نحن من مدرسة تفهم هيكل وأساليب هيكل وما أنزله هيكل من تدمير بالفكر السياسى العربى بتزوير الوقائع والجرأة المستهترة بالحقيقة ومزج الجهل بالكذب واختراع محادثة لم يشهدها ولا ينسبها لمصدر ! أو افتراء أكذوبة وتقديمها كحقيقة يرددها من خلفه صبية المدرسة التى حملت منهاجه وتدمر بوحشية الفكر العربى . وكانت لنا سابقة مع الأستاذ عندما أخرج كتابه بالإنجليزية قطع ذيل الأسد عن حرب ١٩٥٦ ثم أصدر طبعة عربية منه ، وبالمقارنة بين الكتابين هالنا ما أجراه من تزوير وتحوير وتعديل بين الطبعتين مما دعانا إلى تخصيص فصل فى كتابنا « ثورة يوليو الأمريكية »[١] بعنوان : « التاريخ البلاستيك .. وهيكل » ولم يستطع أن يرد علينا بحرف ، وهكذا ما أن قرأنا الطبعة الإنجليزية من كتابه عن الخليج حتى عرفنا على الفور ما الذى سيحذفه هيكل من الطبعة المصرية . ويلاحظ

(١) تصدر الطبعة الثالثة عن مكتبة التراث الإسلامى .

القارىء أننا وإن كنا قد نقدنا الموقف السياسى لهيكل من بداية أزمة الخليج ، وفندنا ادعاءاته حول موقف مصر والملك حسين إلا أننا ركزنا فى مقالات الأخبار على نقطة التزوير بين الطبعتين ، فهو من حقه تماماً أن ينتقد موقف الحكومة المصرية ، ويكون الحكم على موقفه السياسى على ضوء الأدلة والوقائع .. ولنا حق رفض ما يقول أو قبوله ولكن ليس من حقه أن يخفى على القارىء المصرى وجهة نظره فى نقد حكومته .. لأن تعريف المصرى بموقف حكومته المنحرفة — من وجهة نظر الكاتب — هى مسئولية الكاتب الأولى .. فإن سب هذه الحكومة عند الإنجليز ، وحملها دم العراق ودم الحل العربى المزعوم ثم غطى موقفها عند العرب فهو — كما قلنا — يكون قد أخل بشرف المواطنة وشرف المهنة .. ولما كنت الكاتب الوحيد حتى الآن الذى درس الطبعتين العربية والإنجيزية من كتاب المذكور فقد أصابت مقالاتنا مقتلًا من الأستاذ فهرع إلى بقايا تلاميذه والذين انتعشت آمالهم بقرب العودة مع زحف الناصريين وسيطرتهم على الإعلام سارع يرد علينا فى ٨ صفحات بالمصور متفادياً بغير براعة كل ما قلناه .. وكما قيل « جري الشر يا عوره » أو : « على نفسها جنت براقش » فقد استدعى ذلك أن نصنف فى الرد عليه ثلاث مقالات أعتقد أنها أجهزت عليه ولو إلى حين .

وربما كانت أهم نقطة فى حديثه لمجلة المصور هى اعترافه أخيراً بأنه أخطأ عندما تصور طوال الأزمة إمكانية وجود حل عربى .. وكما قلنا هذا هو جوهر القضية التى دار حولها الخلاف فإن اعترف الآن بأنه كان مخطئاً فقد سقط كل منطقه وسقط مبرر تأليف الكتاب أصلًا .. ونحن لا نصدقه إنه أخطأ ولا نزعم أننا عباقرة الزمان لأننا عرفنا ذلك وعمى هو .. لا .. لقد كان هيكل وحسين وغيرهما يقومون بمهمة واضحة هى تضليل العراق والجماهير العربية بالإيهام بسراب الحل العربى .

ولم أكن أفكر أبداً فى أن أصدر مقالاتى هذه فى كتاب فقد اعتبرت أن ما قلته فى : « **الجنازة حارة** » يكفى لعشر سنوات مقبلة ، ولما رددت بعض الصحف المؤيدة لهيكل إننى سأجمعها فى كتاب بادرت بنفى ذلك ، ولكن بعد نشر المقالات اشتد إلحاح القراء بجمعها فى كتاب ، وعزز ذلك رغبة كريمة من ناشرى العزيز فتوكلت على الله وأضفت إليها ما كنت قد كتبته خلال أزمة الخليج عن الملك حسين ومحمد حسنين هيكل فكان هذا الكتيب .

لندن ـــ يونيه ١٩٩٢ ..

موقف الملك حسين

من بداية الأزمة كان لنا رأينا فى تفسير موقف الملك حسين الذى مازلنا ننفرد به ونصر عليه وهو كما جاء فى الفصل التاسع من كتابنا : « **الجنازة الحارة** » مع بعض الاختصار تحت عنوان : « إذا كانت هناك جائزة أوسكار لمسرحية الخليج .. فهى من حق الملك حسين بدون منازع ! » .

قلنا : « الذين يأخذون بالنظرية التآمرية ، بمعنى أن كل ما جرى فى الخليج كان معداً ومرسوماً بدقة من جانب الادارة الأمريكية وقبل زمن من انفجار الخلاف العراق / الكويتى ، هذا الانفجار الذى جاء على قدر فى سيناريو جورج بوش . أقول أن أنصار السيناريو المعد يجدون ما يعزز ظنونهم فى حالة الملك حسين ، الذى كان تحالفه مع صدام ظاهرة مخالفة للقوانين الطبيعية والسوابق والممارسات .. ثم قرار الملك المفاجىء بإجراء انتخابات حرة يسمح فيها بنجاح الإسلاميين ، بل ويضعهم فى

الحكومة ، وأخيراً انحيازه للصف الثورى المعادى « للرجعية والامبريالية » وهو من هو .. الحسين بن .. حفيد عبد الله ! كل هذه المفاجآت جاءت فى موضعها تماماً من الخطة الأمريكية بحيث يستحيل على أشد العقول براءة تصور أنها وقعت مصادفة أو بنية صافية ..

كان لابد من خطة لمواجهة تحرك الفلسطينيين فى الأردن[1] الأكثر عدداً من أى بلد آخر والأقدر على الإضرار بمصالح أمريكا .. فهم فى الأردن ما بين سوريا المطلوبة فى الحلف المواجه للعراق ، وبين العراق ميدان المعركة وبين إسرائيل قرة عين أمريكا؟! .. ما الذى كان يمكن أن يحدث لو أن الملك حسين أخذ الموقف الذى تحتمه ارتباطاته بالمخابرات الأمريكية التى تدفع له مرتباً ثابتاً كما كشف « بوب وودوارد » فى كتابه : « المخبى » أو بحكم تاريخه فى العمالة والاتصال السرى بإسرائيل . لو اتخذ الملك حسين موقفه الطبيعى تحت المظلة الأمريكية ماذا كان يمكن أن يحدث ؟ ..

كان الفلسطينيون فى الأردن سيدخلون معركة دامية مع حكومة الملك حسين ، وكلنا يعرف أن إسرائيل لا تسمح بقلب الملك حسين ولا بقيام جمهورية فلسطينية / أردنية ثورية على

(١) من شاء تفاصيل أكثر فليرجع لكتابنا عن حرب الخليج .

حدودها الأكبر .. أى أنها ستتدخل .. وما الذى يمنع الجيش العراقى فى هذه الحالة من أن يدخل لنجدة الثورة المؤيدة له والتى تقاتل فعلًا غزواً إسرائيلياً .. وهل يتصور أن تقاتل المملكة وسوريا ومصر مع إسرائيل ضد الفلسطينيين تمكيناً للغزو الإسرائيلى للأردن ؟! لقد كانت الدبلوماسية الأمريكية والإعلام الأمريكى لا ينامون الليل خوفاً على انفراط التحالف إذا ما ردت إسرائيل على صورايخ صدام بضربة جوية أو صاروخية . أفكان سيبقى التحالف وإسرائيل تقاتل الفلسطينيين فى شوارع عمان ؟! وهل يعقل أن ينحاز الملك حسين لأمريكا ويضرب العراق أو حتى يتحرش به ويسكت الفلسطينيون فى الأردن ؟! ..

وهكذا كانت القضية المطروحة على واضعى السيناريو هى : كيف يمكن شل الفلسطينيين فى الأردن ؟! ..

الجواب فى اعتقادى جاء من خبير فى السى آى إيه تذكر قصة الزمار والفيران والأطفال فقال : دعوا الملك حسين يلبس ثياب الوطنية والثورية مع قليل من الاشتراكية ويزمر لهم وهم يرقصون على نغمات مزماره ويسيرون خلفه حتى يقذف بهم فى البحر ..

كان من الضرورى أن يمسك الملك حسين الشعب

الفلسطينى من قرونه بقفاز الوطنية وتأييد صدام ، وبذلك يمنع أى دعم حقيقى له ، ونعتقد أن نوبة الديموقراطية والسماح للإسلاميين بالنجاح فى الانتخابات بل ودخول الحكومة ، كله كان فى إطار المخطط ليتولى الإسلاميون تهدئة وضبط الشارع إلى أن تنفذ الخطة ويذبح العراق ، ثم يلقى الجميع جزاءهم .

وقد كان ..

أصبح الملك حسين ثورياً وانضم إلى صدام وهاجم الحكم الرجعى !! ودعا إلى إعادة توزيع الثروات .. ومنع تصدير النفط العراقى ووفر حدوداً آمنة هادئة مع إسرائيل وسوريا وشل نصف مليون مقاتل فلسطينى .. سمح لهم بسب أمريكا ومصر والسعودية ومنعوا من أن يطلقوا طلقة واحدة ضد إسرائيل أو الولايات المتحدة ! ..

والآن تتساءلون ماذا كسب العراق من موقف الملك حسين .. ألم يكن حسين العميل مع أمريكا وألف فلسطينى يخترقون الحدود إلى إسرائيل ، أفضل لصدام من حسين الثورى الذى يتحدث عن عدالة توزيع الثروات ويتصدى للمؤامرة الأمريكية ، ويحول دون عملية فلسطينية واحدة من حدوده ؟! . هل خسرت أمريكا بوطنية الحسين المفاجئة ؟! أم كانت لعبة فى منتهى الذكاء .. ساعد عليها بالطبع ضعف الوعى

السياسى فى القيادات الإسلامية والفلسطينية التى اكتفت من الملك بشقشقة اللسان ولم تكن فى جعبتها ولا فى مقدورها أن تطرح على الفور برنامجاً عملياً يكشف تضليله وخيانته .

فالملك حسين كان يقوم بدور مرسوم بدقة وبراعة وهو شل وتحييد الفلسطينيين داخل الأردن من خلال السماح لهم بالهتاف فقط ضد المؤامرة وتحت زعامته ! ومن خلال وضع الإسلاميين فى السلطة ليصدروا مثل هذا القرار : « أصدر مجلس النواب الأردنى قراراً بإعلان أمريكا الشيطان الأكبر **ABC** » ومؤمن هذا الزمان يقاتل الشيطان بالهتافات ! كما عمل تحالفهم أو ذيليتهم للملك على إظهار جلالته فى صورة المتمرد على الأمريكان الذى يطوف الآفاق يسب دول التحالف ويدعو لصدام حسين ! ..

وهذا هو الرأى الذى وصلنا إليه من اليوم الأول لأزمة الخليج واتضاح ملامح الدور الذى يلعبه الملك الشريف جداً . وفى ضوء هذا التفسير يجب أن نفهم كل ما جرى .. ونفهم قول وزير خارجية بريطانيا « إن استمرار الملك حسين يشكل مصلحة بريطانية »[1] وإعلان شامير : نحن مهتمون بوجود أردن ثابت ومستقر .. وأكد أن الملك حسين يعرف أنه لا يتهدده أى خطر

(١) الديلى تلغراف ١/١٤ .

من إسرائيل[1] .

وبدون الموقف التضليلى الذى مثله حسين .. ما كان ليستمر أو يستقر ..

وما أن ضرب صدام حتى كان حسين يتخلى عن الدور ، ويغسل وجهه من المكياج الثورى ، ويقول .. كلمنى عن بكره وابعد عن امبارح . بل ينسى نفسه فيبدى فرحته باليوم السعيد الذى شهد هزيمة صدام فيدعو العرب إلى أن نؤرخ به مرحلة جديدة فى تاريخ العرب ! .. ونقلت عنه التايمس أنه لا يحمل حقداً ومستعد لفتح صفحة جديدة . « فى هذا اليوم نرى بداية مرحلة جديدة فى تاريخ العرب . اليوم هو يوم مداواة الجروح وإعادة الوحدة العربية ووضع الأساس لمستقبل أفضل . هذا هو اليوم الذى يجب أن نبعث ونطور النظام العربى الإقليمى » . وعلقت الصحيفة أن الخطاب كان تحولًا واضحاً عن موقف الأردن السابق وتناقضاً صارخاً لبيانه فى ٦ فبراير الذى أغضب دول التحالف عندما رفض ذكر اسم الكويت .. أما اليوم فقال الملك : إخواننا الكويتيون يحتفلون بعودتهم إلى وطنهم واستعادة استقلالهم ونحن نشاركهم سعادتهم . وفى هذه المرة لم يذكر الملك صدام حسين على الاطلاق ![2] .

---

(١) الديلى تلغراف ١٢/٦ .

(٢) ٩١/٣/٢ التايمس .

هكذا يفعل أشراف لانجلى[1] ..

ويبدو أن المخرج الأمريكى تعجل إسدال الستار وخلع الممثلين لثيابهم وتصور أنه يمكن إعادة حسين لمكانه فى الصف العربى ، بمجرد انتهاء دوره ! ولم يحسب الأمريكان حساب البراعة التى اندمج بها الشريف حسين فى لعب دوره مما أثار حفيظة الجماهير عليه فى دول التحالف العربى بحيث أصبح لا يمكن قبولها قلب جلده واستقباله بهذه السهولة وبهذه السرعة التى تعجلها الأمريكان .. عندما أعلن أن « جولة بيكر فى الشرق الأوسط إنما تستهدف مصالحة حسين مع الولايات المتحدة والبلاد العربية التى كانت فى التحالف ، وقيل أن بيكر وسكوكروفت مستشار الأمن القومى للرئيس بوش اجتمعا هذا الأسبوع مع عدنان أبو عوده مستشار الملك حسين وأن الرئيس بوش كتب خطاباً للكونغرس يحتج على قرار المجلس بإلغاء المعونة للأردن ثم عدل الكونغرس القرار ليجعل من حق الرئيس استئناف الدعم إذا رأى أن الأردن تتعاون فى مسيرة السلام[2] .. وتجدد الحديث عن اقتراح قديم بوفد فلسطينى / أردنى »[3] .

---

(١) لانجلى هى مقر المخابرات الأمريكية فى ولاية فيرجينيا .

(٢) وقد تعاونت الأردن طبعاً وكان هذا من أهداف الدور الثورى الذى لعبه حسين . أعنى إزاحة منظمة التحرير والعودة للحديث باسم الفلسطينيين !

(٣) هيرالد تريبيون ١٩٩١/٣/٢٩ .

على أية حال فإن أغنى فرد فى العالم لم يخرج بيده فاضية من أم المعارك فقد « كان عند صدام ٤٠٠ مليون دولار نقداً فى بنوك الخليج وقد حولت إلى الأردن للانفاق بواسطة الملك حسين »[1] ومن شاء التفاصيل فليرجع لكتابنا المذكور .

(١) الأوبزرفر ١٢/٣٠ نقلًا عن الجنازة حارة .

بعض ملاحظات على حديث الملك الشريف حسين

بداية .. لا يجوز التعليق على حديث لمن هو فى مكانة الملك حسين — من الناحية البروتوكولية على الأقل — دون بعض الملاحظات حول شخصية المتحدث ..

أولها أن جلالته لا يصلح وسيطاً فى قضية احتلال العراق للكويت ، لأن أبسط متطلبات الوسيط أن يكون محايداً وجلالته كما يعرف العامة قبل الخاصة انحاز بشدة من اليوم الأول للغزاة العراقيين . بل إن الاتهامات تلاحقه بأنه كان ضالعاً فى خطة الغزو . ولكن جلالته يمكن قبوله — بكثير من التجاوز من جانب العرب — كوسيط بينهم وبين إسرائيل ، ليس فقط باعتبار العلاقات الوثيقة التى تربطه شخصياً وعائلياً بزعماء دولة إسرائيل[1] بل وأيضاً

(١) كتب إسرائيلى اسمه مازرك هالتر فى النيويورك تايمز والهيرالد تريبيون معا يقول انه قابل الملك حسين فى تل أبيب فى مارس ١٩٧٣ حيث كان جلالته فى واحدة من زياراته السرية لدولة العدو ، وكان هذه المرة بدعوة من جولدامائير ، كما قال إن الموساد هى التى حذرت الملك من المؤامرات الفلسطينية لخلعه فى ابريل ١٩٥٧ ويوليو ١٩٥٨ ومارس ١٩٥٩ وأغسطس ١٩٦٠ يوليو ١٩٦٦ ابريل ١٩٦٧ .. (**نيويورك تايمز ٩١/١/٤**) .

باعتبار أن آخر تصريح لوزير خارجية إسرائيل قبل رحلة شامير لأوربا وأمريكا هى إعلانه أن العرش الأردنى والنظام الأردنى ، تحت الحماية الإسرائيلية . وإذا كان هذا التصريح مجرد تحصيل حاصل بالنسبة لجلالته ومن ثم لم يجد حاجة للتعليق عليه فالغريب حقاً هو سكوت البرلمان الأردنى على هذه الإهانة التى ما كان ليصبر عليها مهراجات الهند . مما يؤكد أن البرلمان الديموقراطى فى التسعينيات لا يختلف كثيراً عن مجالس أو ديوانيات الأمير عبد الله والجنرال أبو حنيك فى الثلاثينيات . من هنا فإن فرص جلالته مع الإسرائيليين أكبر .. هذا إذا قبلوا ترفيعه لمرتبة وسيط ! .

الملحوظة الثانية قبل الدخول فى الحديث ، هى أن جلالته هو آخر من يحق له التحدث عن القوات الأجنبية والوجود الأجنبى فهو أول من استدعى الأساطيل وجلب القوات الأجنبية لحمايته وأنزل الإنجليز فى الأردن عام ١٩٥٨ لصد خطر الناصرية التى كان صدام حسين ومازال أحد تلاميذها النابغين ، وإن كانت الأهواء قد جمعته مع عدو عبد الناصر الأول . وكانت قوات المشركين فى العقبة وعمان ــ كما لاحظ الأمير بندر بحق ــ أقرب للأراضى المقدسة من الأمريكان فى حفر الباطن !

كما طلب جلالته بعد ١٢ سنة من الولايات المتحدة الحماية المباشرة وترجاها أن تحث إسرائيل على التدخل إلى جانبه ليتمكن

من سحق المقاومة الفلسطينية فى أيلول الأسود .. فجلالته استدعى الإسرائيليين للتدخل فى شئون البيت الأردنى وضد مواطنيه . فلا يحق له أن يعظ اليوم عن التدخل فى شئون البيت العربى بعدما تهدم هذا البيت بتحول الأخ إلى قاطع طريق .. اغتصب أخاه الأصغر ..

أما عن الخطاب الذى ألقاه فى حفل تخريج الدورة ٣١ لكلية الأركان الملكية فهذه هى الملاحظات :

١ ــ يتحدث جلالته عن « غياب الديموقراطية فى العالم العربى قيما وسلوكاً ومؤسسات » وهو حديث خبير بلا شك ، فإلى ما قبل عام واحد كان حكم جلالته فى مقدمة هذه النظم التى عادت الديموقراطية سلوكاً وممارسة وقيماً ، وكان له سجله الحافل باتهامات لجان العفو وحقوق الإنسان ومنظمات العدل .. إلخ ، واتسم تاريخ جلالته بالصراع الدموى المتصل بين شعبه وحكومات القصر ، التى لم تكن سوى أُلعوبة بيد الملك والذين بيدهم أمر الملك . وبحكم هذا التاريخ وبحكم أنه ما من تطور أو تغيير قد وقع فى العلاقات الاجتماعية أو السياسية فى الأردن ، فإن الكثيرين ينظرون بعين الشك والريبة لهذا العارض الديموقراطى الذى اعترى النظام وجلالته على كبر ! ويعتقد الكثيرون أنه جزء من المؤامرة ، التى ينهانا جلالته عن التفكير فيها . وما حيلتنا وقد

أصبح اسم جلالتكم مقترناً فى العقل الباطن للشعب العربى .. « بالتآمر والمؤامرة » حتى أن ذكر أى اللفظين على لسان عربى يستدعى الثانى على الفور ..

الكثيرون يعتقدون أن النوبة الديموقراطية الحالية فى الأردن هى جزء من الديكور الذى أعد تمثيل المسرحية التى لا يعلم إلا الله حدودها . والتى فور أن تبلغ أجلها سيستأنف جند البادية التعبير عن إخلاصهم للعرش بذبح المواطنين ومطاردة الذين قبلوا الاشتراك فى التمثيلية ، مع علمهم أن كل مفاتيح السلطة الحقيقية لا تزال بيد الملك والمجموعة التى تنكل بالشعب منذ أن كان العرش الأردنى .

على أية حال إن دليل الديموقراطية الذى لا يجحد هو وجود الرأى الآخر ، ولكن بما أنه لا يوجد مظهر واحد من مظاهر التعبير عن رأى أردنى معارض للخط الذى اتخذه جلالته بالنسبة للاحتلال العراقى للكويت ، فلا تفسير لذلك إلا أحد أمرين : الأول ــ بافتراض أن رأى الحسين هو الصواب ــ وبالتالى فالأردن هو الشعب المعصوم أو البلد المنتظر .. لأنه كله ، ببدوه وحضره وفلسطينييه وأردنية وأغنيائه وفقرائه كلهم قد أوتوا الحكمة وفصل الخطاب ، عرفوا الحق فى الغزو العراقى فاتبعوه وكرهوا باطل استقلال الكويت فحاربوه .. الأردن بأكمله

يتفجر وطنية وثورية ووعياً حتى أنه لم يظهر صوت واحد يعارض احتلال الكويت أو يعارض جلالته ؟!

أو أن ديموقراطية جلالته هى من النوع الذى يسمح بالحرية فى اتجاه واحد هو حرية تأييد الحكومة .

عندما يكون رئيس واحدة من أفقر دول العالم هو فى نفس الوقت أغنى رجل فى العالم يغدو الحياء مطلوباً فى الحديث عن الديموقراطية التى أول مفاهيمها هى رقابة الشعب على مال الشعب .

٢ ــ خلا خطاب جلالته تماماً من كلمة إدانة واحدة ضد الدولة التى حشدت جيشها وانتهكت سيادة جارتها العربية وأزالت كيانها وأعلنت ضمها بالقوة ، إنما تفضل جلالته فسمى ما حدث : « بالمحذور حيث تحول الخلاف بين دولتين شقيقتين إلى تصدع فى الجسم العربى ما لبث أن تحول إلى شق تحركت القوى الأجنبية ذات المصالح بسرعة مذهلة للنفاذ منه والتدخل المباشر فى شئون بيتنا العربى » .

ويفسر جلالته هذا السكوت المريب المعيب بأنه فضل « عدم التمحور » بينما الأطفال (الذين انتزعوا من الحاضنات فى مستشفيات الكويت)[1] يعرفون أن جلالته تمحور بشدة !! هذا

(١) كانت هذه معلوماتنا وقت كتابة الرد أى قبل عامين .

إذا كان يمكن الحديث عن تمحور ، بين القاتل والقتيل ، بين الغازى والمغزو ، بين جيش الاحتلال والوطن المحتل . إن هذا الإجماع الذى لم يسبق له مثيل فى الأمم المتحدة على إدانة العراق لا يمكن وصفه بالتمحور بل لأن ما فعله العراق هو الجريمة التى لا يستطيع حتى المنافق التهرب من استنكارها ولو من طرف لسانه ! فتراه يقول : نحن نستنكر الغزو ولكن مادام قد وقع فلننسه ولنحاول الاستفادة منه !! تماماً كما يختتم جلالته كلمته داعياً العرب للابتهاج بما حدث « فإن فرصة حل أزمة الخليج والمشكلة الفلسطينية لم تكن فى أى وقت من الأوقات أفضل مما هى عليه الآن فلنغتنم هذه الفرصة حتى لا تحل علينا لعنة الله والتاريخ . وينصح الإخوة العرب بالتوقف عن التلاوم وعن الانشغال بتحديد من هو المذنب ومن هو البرىء .. حتى نسترجع قدسنا » .

ألا لعنة الله والتاريخ على من أضاع قدسنا أكثر من مرة .. ألا لعنة الله والتاريخ على من لم يجد وسيلة يحرر بها قدسنا إلا المزيد من احتلال أرضنا وتشريد شعبنا ..

جلالته يرى أنه حادث سعيد وجلالته يرى إمكانية الحوار والتصالح دون أن نحدد من المعتدي ومن المعتدىٰ عليه .. وفى موضع آخر يلوم مجلس الأمن لأنه يكيل بمكيالين لأن المجلس

يدين العدوان على الكويت ولا يدين العدوان الإسرائيلى .. كيف غاب عن منطق العرب وفهمهم هذه المغالطة .. كيف فات جلالته والذين يرددون أقواله أنه هو أيضاً يكيل بمكيالين فيدين العدوان الإسرائيلى ، ولو بالكلام ، ويغض الطرف بل يبارك العدوان العراقى ! ما الفرق بين موقفك وموقف مجلس الأمن ؟! ..

وكلنا يعرف أن المشكلة ليست فى مجلس الأمن بل فى إنحياز الولايات المتحدة لإسرائيل ، وهذه قضية تعايش معها جلالته ولم تفسد وده مع الأمريكان قضية خلال أربعين سنة . وهذا الانحياز من الثوابت فى القضية الفلسطينية ، ولم نكن أبداً بحاجة لذبح الكويت لإثباته . بالعكس كانت تحولات الموقف العالمى واختفاء الحرب الباردة وانتهاء الدور المزعوم لإسرائيل فى حماية الشرق الأوسط من الشيوعية ، وكذلك نمو المقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، وتخطيها قيادات الخارج — بل ولعلنا لا نخطىء القول إنه ما كان يمكن للانتفاضة أن توجد وأن تستمر أربع سنوات لولا زوال السيطرة الهاشمية حتى الشكلية على الشعب الفلسطينى ، تلك السيطرة التى لا تزال تمنع إخوة أبناء الانتفاضة داخل الأردن من الانضمام للمجاهدين داخل إسرائيل .

كان الأمل أنه مع تزايد نفوذ مصر والسعودية فى الولايات

المتحدة وبدء المحادثات الأمريكية الفلسطينية وتصاعد عطف العالم على كفاح الفلسطينيين وبروز أوربا كقوة مؤثرة فى السياسة العالمية ، ومع التهاب الوضع بتدفق المهاجرين السوفييت .. كان الأمل أن يؤثر ذلك فى اتجاه تغيير موقف الولايات المتحدة نحو موقف أكثر حياداً وتحريك مجلس الأمن فى اتجاه إنصاف الشعب الفلسطينى حتى جاء الانقاذ لإسرائيل بالغزو العراق للكويت وأصبحت صفة العدوان تضم العرب والإسرائيليين معاً . ولم يعد من السهل إقناع العالم بأن إسرائيل هى مصدر التوتر فى الشرق الأوسط .

(وأضيف الآن فقرة من كتابى « **الجنازة حارة** » قلت فيها :
« وفى البداية كان الموقف المصرى المؤيد للولايات المتحدة رصيداً أضيف لحساب القضية الفلسطينية ، وأدى إلى هبوط أسهم تل أبيب فى البورصة الأمريكية ، وبدأ البعض يقول ما حاجتنا لإسرائيل إذا كانت كبرى الدول العربية معنا .. وراحت مصر تتحسس نبض الإدارة الأمريكية من أجل تشجيعها على تسوية مرضية للقضية الفلسطينية بعد الحرب .. « وقيل إن عصمت عبد المجيد طلب أن تضغط أمريكا على إسرائيل بعد الحرب للتنازل فى سبيل تسوية فلسطينية إسرائيلية » وقالت إن مصر والدول العربية التى انضمت لأمريكا تتوقع أن يعطيهم اشتراكهم فى التحالف ميزة عند انتهاء الحرب تمكنهم من مطالبة حكومة بوش بالضغط على

إسرائيل للقبول بمؤتمر سلام للشرق الأوسط أو خطة سلام أخرى،ولكن بعد أن سقطت صواريخ سكود على تل أبيب وحيفا وأرسلت القوات الأمريكية للدفاع عن إسرائيل لأول مرة لم يخف المسئولون الإسرائيليون اعتقادهم بأن ضبط النفس الذى تحلوا به قلب المائدة على العرب فالرأى العام الأمريكى الآن أكثر اهتماماً بالخطر الذى يواجه إسرائيل والإدارة الأمريكية تحس بأنها مدينة لإسرائيل »[١] .

٣ ــ ينبهنا جلالته إلى أننا أصبحنا فى حالة تشبه إلى « حد بعيد فى خطورتها ومضاعفاتها الحالة التى وجدت أمتنا فيها نفسها عام ١٩١٨ حينما اكتشفت أن مسارها كان قد رسمه لها سايكس بيكو ووعد بلفور ومن بعده بقرارات عصبة الأمم » .

ولاشك أن جلالته هو خير من يحدثنا عن تلك الأيام وتلك القرارات فهو يدين بعرشه لهذه المخططات والقرارات بالذات . ولكن جده[٢] كان أكثر صراحة عندما اعترف بخطيئته وانه هو الذى جلب وسهل على سايكس بيكو وبلفور تقسيم الأمة العربية عندما قبل أن يحقق أطماعه فى التوسع وفرض زعامته على العرب بالاتفاق مع الانجليز ، وتوقيعه على كل هذا الذى يسبه حفيده

---

(١) لوس انجلوس تايمس ٩١/١/٣٠ .
(٢) هو الملك على بن الشريف حسين .

اليوم . اعتذر الجد بقوله : « كنا بدواً ، لا نفهم فى السياسة ، وجاءوا لنا بأوراق وقالوا وقعوا فوقعنا .. » ترى بماذا سيعتذر الحفيد عندما تتكشف أبعاد المؤامرة التى دبرت ضد الأمة العربية بالغزو العراقى ؟! من الذى تسبب فى فتح بلادنا لجميع الدول ولشتى التدخلات .. من الذى قدمنا للعالم فى صورة البدائيين المتوحشين المتنازعين الذين لا أمن ولا أمان حتى فيما بينهم .. من الذى طعن فى شرعية الخريطة العربية ويدعو لتغييرها .. من الذى يبرر العدوان لتعديل الحدود والذى لا يعترف بالحدود القائمة ؟

العراق أعطى الشرعية لكل من يفرض مطالبه بالدبابات بعد أن عرّب العدوان .. قدم الوطن العربى على طبق لكل الذين يريدون إعادة رسم حدوده وتوزيع ثرواته ليفوزوا بنصيب الأسد . وللأسف فإن العرب فى هذه القسمة ليسوا الأسد ولا الذئب بل الفريسة .. إن الذين صنعوا سايكس بيكو وقبلوا وعد بلفور قد فعلوها مرة ثانية !

ونحن لا نستطيع أن نفهم كيف يجمعون بين الدعوة « لحل عربى » وبين شعار « مشاكل الشرق الأوسط لاتتجزأ » بمعنى دعوة إسرائيل وغيرها للاشتراك فى حل النزاع العراقى ــ الكويتى . ألا يرى جلالته أنه وجماعة صدام قد تبنوا الشعار الذى رفعته إسرائيل منذ سنوات عن شرق أوسط ليس عربياً

وانهم اعترفوا بإسرائيل كطرف فى الصراع العربى / العربى ؟!

٤ ــ ويرسم لنا جلالته مبادىء حل النزاع فيعلمنا : « أول المبادىء هو إعطاء الوسيط العربى الفرصة ليجرى الحوار مع الطرفين المتنازعين ويمهد لهما سبيل الجلوس معاً والتفاوض حول المشكلات التى تكمن وراء النزاع سعياً لحلها » .

لقد اشتهر جلالته فترة بالمهارة فى التخلص من المواقف الحرجة ، والقدرة على الغوص فى الأزمات والخروج سالماً .. وحده .. حتى لو دمرت العاصفة العالم من حوله ، ولكنه فى هذه المرة يحاول ما يفوق القدرة على المغالطة .. وأى مغالطة أكبر مما يرتكبه الملك وجوقة الوسطاء المشبوهين .. فنحن على كثرة ما نسمع عن الحوار والمفاوضة فإن جلالته لم يشر مرة واحدة لا هو ولا كل الوسطاء إلى حوار مع الطرف المعنى أساساً .. أى الكويت !!

إن ذلك يعنى أن جلالته قد تعلم جيداً من أصدقائه اليهود الذين يجتمع بهم سراً حتى أصبح من العلامات المميزة فى مذكرات كل مسئول يهودى يتقاعد أن يخصص فصلاً يحصى فيه عدد المرات التى اجتمع فيها سراً مع جلالته !

إسرائيل منذ عدوان ١٩٤٨ إلى اليوم تدعو إلى حوار مع جميع الأطراف إلا الفلسطينيين ! وتدعو لحوار بلا شروط مسبقة

إلا شرط استمرار احتلالها . وهو ما يدعو له اليوم الوسطاء من أمثال جلالته باسم الحل السلمى لقضية الكويت ! وإسرائيل تدعو — تماماً كما يفعل جلالته — لاعتبار عدوانها واحتلالها تاريخاً وعدم إضاعة الوقت فى تحديد من المخطىء فإذا أصر العرب فهم المخطئون لأنهم تحرشوا بإسرائيل !! تماماً كما يحمل جلالته الكويت مسئولية استفزاز الوحش العراقى ..

ولكن الأمر أخطر من مجرد تلميذ يقلد أساتذته الإسرائيليين ، بل إن إغفال الكويت فى الحديث عن الحوار والوساطة والتركيز على السعودية التى ليس لديها ما تتفاوض عليه مع العراق ولا ما تتنازل عنه وصولًا للحل الوسط ، هذا التركيز ليس عن غباء ولا لمجرد إضاعة الوقت ، بل هو عن قصد بهدف إظهار السعودية ، وكأنها هى التى تمنع الحل .. وأن الحرب مع السعودية .. وأن المتصلب هى السعودية .. قد يكون ذلك جزءاً من مؤامرة علمها عند الملك ويستحق عليها مبلغ العشرة ملايين دولار التى يتقاضاها سنوياً من المخابرات الأمريكية . وصرفت لفترة بتوقيع الرئيس بوش شخصياً مما سمح للرئيس الأمريكى أن يعامله معاملة لا تليق بتاجر مخدرات من أمريكا اللاتينية ، وصبر جلالته واحتسب .. أو بالأحرى حسب قيمتها بالدولارات ! .. ولكنها على أية حال حيلة تفتقد الحبكة والبراعة . فليس لدى السعودية من خلاف ولا قضية مع العراق إلا احتلاله للكويت

وحشده الحشود على حدودها . فلينسحب من حدودها ويخرج من الكويت تنفيذاً للحق ولقرار إجماعى من الأمم المتحدة ، وتعود العلاقات إلى وضعها الطبيعى كما هى بين الأردن وسوريا مثلًا .. أما إذا كان للعراق بعض المطالب فى الكويت ثمناً للانسحاب فليتفاوض عليها مع الكويت .. أم أن المطلوب هو أن تفعل السعودية مع حكومة الكويت فى المنفى ما فعله اليابانيون مع الكوريين فى الثلاثينيات.. تضربهم على أرجلهم بالسياط حتى يوقعوا عقد إيجار الجزر ؟! لا .. ليس هذا أسلوب السعودية ولا هو من روح العصر وأساليب العالم الجديد الذى يدعونا إليه الحسين ، وجورباتشوف هو الذى قال فى الأيام الأولى للغزو إن صدام لا يمكن أن يتعامل مع النظام العالمى الجديد بهذا الأسلوب .. فلماذا التوسط عند الرياض إلا لزرع الشبهات وإخفاء الجانى والضحية ؟! .

سيقول المنافقون من الأعراب أن المفاوضات بين بغداد والسعودية هى لتنظيم الانسحاب المتزامن للقوات العراقية والأمريكية .. وهو قول يقوم على البهتان والمغالطة ..

أولًا : إذا كان العراق لا يريد أكثر من ضمان انسحاب القوات فليبدأ بانسحابه وعندها تبدو المواقف عارية وسنرى من الذى يريد القوات الأجنبية على أرضه أو فى المنطقة ..

ثانياً : إن وجود القوات المساندة وإن كان قد بدأ بالعدوان العراقى ثم بطلب من السعودية فهو لم يعد قضية تخص البلدين بل الأمم المتحدة ، وهناك ٢٦ دولة مشتركة فى هذه القوات تدعمها العديد من الدول فى أوربا وآسيا ، كلها مشتركة وملتزمة بتنفيذ قرارات صادرة بالاجماع من الأمم المتحدة ، منها على سبيل المثال تنفيذ الحصار ضد العراق وهو قرار وافقت عليه حتى الصين واليمن وتعلنان التزامهما به . هذه الدول لا يمكن أن تنسحب وترفع الحصار إلا بقرار من الأمم المتحدة . بل إن قرار الحرب بعد ١٥ يناير القادم لم يعد مرجعه الإرادة المنفردة للسعودية ولا يستمد شرعيته من الكونغرس أو الرئيس بوش بل من تخويل صدر بأغلبية ١٢ صوتاً من ١٥ .. فلا يمكن لأى اتفاق تصل إليه السعودية والعراق أن يأمر هذه القوات بالتخلى عما جاءت من أجله .. فتنصاع ! القرار الوحيد الذى ينهى المهمة وينهى مبرر وجود القوات .. هو تنفيذ مقررات الأمم المتحدة ، وهو أمر ، تحقيقه ، فى يد رجل واحد ، سلماً أو تنفذه ٢٦ دولة كرهاً .

ثالثاً : لقد أعلنت السعودية وجميع الجهات المعنية أن هذه القوات لن تبقى يوماً واحداً بعد إنجاز مهمتها وهى تحرير الكويت ، وأعلنت الولايات المتحدة أنها موجودة فقط لهذه المهمة ولا يخفى على خبير بالتآمر والمتآمرين أن انسحاب العراق بغير

حرب يسقط حجة أمريكا فى البقاء .. أما الحرب فتفتح احتمالات لا حد لها . (تذكر أن هذا الكلام كتب قبل ضرب العراق وتأمل من الذى كان يحرص على العراق ومن الذى كان يغرر بالعراق — مايو ١٩٩٢) .

وأخيراً بمن يغرر الملك .. ما هو الضغط الذى يشكله الاحتلال العراقى على القوات الأمريكية فيمنعها من تحقيق أهدافها الأخرى من الوجود بالمنطقة .. بالعكس .. ألا يشكل الاحتلال العراقى واستمراره المبرر والغطاء لمن يريد البقاء فى المنطقة .. إن كل حديث عن التفاوض لتحقيق أو ضمان الانسحاب الزمنى إنما يهدف لإطالة احتلال الكويت ويحقق فى نفس الوقت استمرار الوجود الأجنبى فى المنطقة .

ومن ثم فلا معنى للوساطة لدى المملكة السعودية فى هذه القضية . أم ترى يريد الوسيط حسين أن يتوسط عند الملك فهد ليقنعه بضرورة حل القضية الفلسطينية ؟!

لنفرض أن جميع الأطراف العربية اتفقوا على ضرورة حل المشكلة الفلسطينية فماذا بوسعهم أن يفعلوا لإجبار أمريكا والاتحاد السوفيتى اللذين يرفضان الربط .. هل يناشد العرب صدام ألا ينسحب من الكويت إلا إذا انسحبت إسرائيل وحلت كل مشاكل المنطقة ؟!

رابعاً : مثير حقاً القول بأن أزمة الخليج الحالية سببها القضية الفلسطينية وأنه ما لم تحل هذه الأزمة فستتجدد أزمات الخليج .. هل احتل العراق الكويت ليحل أزمة فلسطين ؟! ربما .. بعد أن تجمع خبراء خطف الطائرات فى بغداد لا يستبعد أن يكون الرئيس العراقى قد اقتنع بأسلوب الرهائن فقرر أن إبادة الكويت كلها أسهل من نسف نصف إسرائيل . وهكذا خطف الكويت ليساوم عليها العالم ، مقابل إطلاق سراح الشعب الفلسطينى من سجن الاحتلال الاسرائيلى .. ربما .. ولكن ــ لأسف الملك حسين ــ صدام لم يقل ذلك أبداً فى تبرير الغزو بل تحدث ولا يزال عن الحقوق التاريخية والجزء الذى عاد للكل والابن الضال الذى ضاع ثم عاد لأحضان الأب الملتاع .. ولم يطرح الربط إلا عند الحديث عن الخروج من الكويت وليس الدخول . أم يقول جلالته أن العراق من شدة حزنه على حقوق الشعب الفلسطينى ومنع جلالته له من التعبير عن مشاعره بالوسيلة الطبيعية الشرعية بعبور الأردن فى اتجاه إسرائيل فانحرف الرئيس العراقى وانفجر كبته فى اتجاه الشقيقة الكويت ؟! مرتكباً الحرام والعار ويريد من العرب مباركة ذلك والدعاء له لكى ينجب الحل الشرعى لمشاكل الشرق الأوسط ؟!

فإذا خرجنا من هزل المنطق الصدامى إلى جد الواقع المأساوى فإن من أخطر ما قدمته المغامرة الصدامية أنها عززت

ادعاء إسرائيل فى مواجهة الطرح العربى . فخلال العشرين عاماً الماضية على الأقل ، كان العرب يقولون إن إسرائيل هى أساس التوتر والقلق والحروب فى الشرق الأوسط . وكانت إسرائيل تجند إعلامها لتقول إن الخلافات العربية والصراعات فى المنطقة سابقة على وجود إسرائيل ومستمرة بمعزل عن إسرائيل . وكانت استشهاداتها بحوادث الحدود أو الحرب الأهلية اللبنانية حتى أسعفها العراق بأكبر عدوان فى تاريخ المنطقة منذ ١٩٦٧ وأكبر إدانة فى تاريخ العالم وأكبر تحرك فى مواجهته أو بسببه وأكبر حشد من القوات والمعدات . وحتى الملك حسين وليس صدام حسين فحسب لا يستطيع أن يجد الجرأة لادعاء أن إسرائيل هى السبب فى الغزو العراقى . من حق إسرائيل إذن أن تقول لسنا نحن سبب التوتر فى المنطقة إنما هم القبائل العربية بعداوتها التاريخية وأطماعها المسلحة بالتكنولوجيا [1] .

خامساً : جلالته سعيد جداً بلعبة الربط التى اكتشفوها وعلقوا بها آمالهم لا لحل قضية فلسطين بل لإطالة احتلال الكويت أو تغطية صدام إذا ما رضخ وقرر الانسحاب . ولكن جلالته وقد توسط منظمات الارهاب يلبس جلد النمر ويتحدى

---

(١) انظر رسالة .. إسرائيل ليست أصل المشاكل وإنما المشاكل قبل وعد بلفور ومن الصراع القبلى العربى .. المنشورة فى الديلى تلغراف ٩٠/١٢/١٢ وهو نفس الكلام الذى قاله هيكل عن صراع القبائل .

أن يكون هناك « عربى واحد .. يرفض الربط بين أزمة الخليج وحل المشكلة الفلسطينية وإنقاذ المقدسات .. إننى أعتبر أن مجرد التلويح الأجنبى بأن عربياً واحداً يمكن أن يقبل بعدم الربط هو إهانة لكل الأمة العربية فإن وجد هذا العربى فليكشف عن نفسه » ..

معروف رأى علماء النفس عن أحلام الطفولة المكبوتة التى تجعل شيخاً فى الستين يرتدى سروالًا قصيراً ويركب دراجة كما فى القصة الروسية الشهيرة .. وجلالته بلاشك كان يحلم فى شبابه أن يحمل على الأعناق ويهتف له فى مظاهرة قومية أو على الأقل يسمح له بالهتاف فيها .. ولكن الظروف المعروفة والمسلكية المعروفة أكثر ، جعلته طوال السنين الأربعين الماضية على كل لسان وفى كل مظاهرة فى العالم العربى ولكن بغير ما يود ! وها هى الفرصة قد حانت ليتحدى هو مرة باسم القضية الفلسطينية !! . مبروك !! إن الله يقبل التوبة قبل الحشرجة .. إلا من شرح بالكفر قلبه .

ومن أجل المزيد من التوبة ، ما رأى جلالته فى اقتراح يحقق الربط الذى لا انفصام له ويطرح الصراع العربى الإسرائيلى طرحاً عنيفاً .. وما رأى جلالته أن يثبت فعلًا إخلاصه لحل القضية الفلسطينية ، ودعم موقف صديقه ، بأن يتيح للجيش

السورى أو الجيش العراقى ــ لا أن يحتل الأردن ويعلن ضمها ، حاشا لله أن نطالب جلالته بهذا الامتحان العسير الذى يدعو الكويتيين لقبوله فى سبيل القضية ــ بل ندعو جلالته إلى مجرد السماح لأحد الجيشين بعبور الحدود والتواجد فى الأردن . أو أبسط من ذلك حرك القضية من حدودك .. اسمح للجيش الأردنى أو حتى لمنظمة التحرير بالعمل من حدودك ضد إسرائيل .. هل تشك جلالتك فى أن إسرائيل ستتورط على الفور بعمل عسكرى ويصبح العالم أمام الربط المسلح وتتاح الفرصة للحل الشامل الذى تطالب به جلالتك ؟! لماذا يجب أن يتم الربط على جثة الكويت بينما تنعم أنت بالحماية الإسرائيلية وتمارس دورك كضابط نقطة حدود لحماية أمن إسرائيل ؟!

ما هو الربط الحادث الآن إلا اختطاف الكويت وادعاء المساومة عليها ؟! نعم « **ادعاء** » إذ لا أساس على الاطلاق للمساومة ، فلا أحد يصدق أن الأمريكان سيقاتلون إسرائيل أو يصطدمون معها من أجل تحرير الكويت .. وإخراج صدام سلمياً وسليماً منها ؟! إن هذا اللون من الربط يبرر جريمة إسرائيل ولا يدينها ويحول قضية فلسطين والشعب الفلسطينى من القضية الرئيسية التى يتمحور حولها الوجود العربى، يحولها إلى مجرد ورقة فى جيب المفاوض العراقى يساوم عليها أو يبتز بها الولايات المتحدة لا لتخرج له إسرائيل من الأرض المحتلة .. بل

ليحصل على حقل نفط ومال وتعديل الحدود لحسابه .

نحن مع الربط الذى يرى أن بداية مسيرة العدل فى فلسطين هى تنفيذ العدل فى العدوان الساخن الذى استطاع لظروف عديدة — منها انحياز أمريكا لإسرائيل — استطاع أن يوحد إرادة العالم ضد العدوان .. ولكنها أصبحت سابقة .. نحن مع الربط لو كان صدام وحسين يريدان حقاً تحرير الأرض المحتلة وليس المساومة على مكاسب للعراق . ونحن نقدر ظروف الفلسطينيين وحقهم المشروع فهو التعلق بكل بارقة تخلصهم من الظلم الفادح الذى يرزحون تحته حتى أنهم قبلوا أن يقامروا على الذى غزا الكويت وترك مسجدنا يهوَّد وأرضنا تمحى عروبتها « تحقيقاً للحلم الصهيونى الكبير » — كما يذكرنا جلالته — وينسى أن يدين الذى اختار هذا الوقت بالذات ليوجه طاقة العراق بل كل طاقات العرب لحل النزاع على عشرة آلاف برميل ينتجها حقل الرميلة .. ولكن اللوم كل اللوم على القيادة الفلسطينية التى وضعت الفلسطينيين فى هذا المأزق بالمقامرة على من تعرف أنه لا يعير قضية فلسطين حبة خردل .. وأن يتعاونوا مع حفيد الشريف حسين الملك حسين الذى لم يدخر جهداً فى حل القضية الفلسطينية نهائياً بإبادة الفلسطينيين وما أيلول الأسود ببعيد ! [1].

(١) أصدرناها بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٩٠ .

وكان الأستاذ هيكل قد قال فى حديث له فى صباح الخير أول نوفمبر ١٩٩٠ : « أنا أرى أن الملك حسين متسق ومنسجم مع نفسه ومع موقفه .. أى إنسان عاقل يدرك مدى عتابه الشديد جداً على ملاك البترول .. إذا رأيت الملك حسين خارج السياسة الأمريكية فلابد أن تدرك أن لديه أسبابه القوية » .. وتساءل : هل بإمكان القائد الأمريكى الموجود بالسعودية أن يحرك كل جيوش الدول العربية ؟ ورد على نفسه : سترفض الأمر لأنها تحت القيادة السعودية . وهل تأتمر القوات الفرنسية مثلاً لأوامر القائد الأمريكى ؟ ومرة أخرى أجاب : أشك كثيراً . وقد ثبت أنه هو موضع الشك . وكذلك معلوماته وتحليلاته التى ثبت بطلانها فالقوات الفرنسية كانت تهرول لاحتلال العراق تنفيذاً لأوامر القائد الأمريكى والقوات العربية كلها كانت على أتم ما يرام [1].

ولكنه بعد مقابلة الملك توسع فى شرح وتأصيل شكوى الملك من معاملة ملاك النفط فقال : « وكانت عمان غير راضية عن شيوخ البترول بالجملة ، فالأزمات الاقتصادية تعصرها والأثرياء لا يساعدون بالقدر المنتظر » . ولعل الملك حسين وهو المسئول الوحيد الباقى على عرش هاشمى كان يحس فى أعماقه بأن

(١) الجنازة حارة ص ١٨/٣١٧ .

« شيوخ البدو » الذين كانوا يتطلعون إلى أجداده باعتبارهم « أشراف الشيوخ » أصبحوا الآن فى وضع من يعطى ويمنع ، وربما لم يكن يضايقه كثيراً أن يشعر أصحاب البترول الذين نزل عليهم الغنى دون حساب بخطر يهددهم ويعيدهم إلى الأرض من طبقات السحاب التى حلقوا إليها بغير أجنحة . الطبعة العربية ٣٣٤ ..

وهيكل فضلًا عن جهله بتاريخ العرب ، فقد تعود أن ينخع نظريات كما قلنا ويستخدمها كحقائق فى التغرير بالخواجات الذين يعشقون الطرائف والغرائب عن العرب فهو يقول مثلًا « التقاليد فى الجزيرة العربية تقضى أنه عندما تتبادل الأسرة الحاكمة السفراء فإن السفير يجب أن يكون من الأسرة وليس موظفاً عادياً » ١٩٦ انجليزى .

يعنى الدكتور القصيبى (السفير السعودى بالبحرين) والشيخ محمد العتيبى (السفير السعودى بالامارات) من آل سعود !!

ما هذا الجهول النصاب ..

أو يقول :

« سلطان نجد عبد العزيز آل سعود هجم على مملكة الحجاز واحتلها كلها وضمها إلى سلطانه جاعلًا من الاثنتين نجد

والحجاز مملكة واحدة تحمل اسم أسرته . وهكذا قامت المملكة العربية السعودية ! » ص ٤٩ عربى .

وفكرنا فى سر تعجبه .. لايعقل أنه زعلان من توحيد نجد والحجاز ، هو إذن يردد مقولة الأمريكان الوقحة السخافة والادعاء وهى كيف تسمى دولة وجنسية على اسم شخص ؟! وقائل هذه أول مرة هو أفاق أمريكى اسمه لاسي على اسم الكلبة لاسي !!! ها ها .

أولًا أهم جنسية فى العالم وأكبر بلد فى العالم وهى الجنسية الأمريكية والولايات المتحدة على اسم رجل هو **Amerigo** **Vesspucci** الذى على اسمه تسمت أمريكا والأمريكيين . وعاصمة أمريكا هى واشنطن وأحد أهم الولايات هى ولاية واشنطن وابن هذه الولاية اسمه واشنطونى أو كما يقولونها **Washingtonian** فما العجب عندما يفعل العرب ذلك ؟! ثانياً إن هذا هو التقليد الإسلامى والعربى فهناك الدولة الأموية والدولة العباسية .. والمتوكلية .. وآخرها الدولة العثمانية ، وكان مواطنها يسمى عثمانلى .. ذلك أنه فى تاريخنا تكونت هذه الدول على يد رجل أو عائلة . وبالنسبة لآل سعود لا توجد دولة فى العالم مرتبطة فى تكوينها وتاريخها بأسرة مثل ارتباط المملكة بآل سعود هم الذين وحدوها أول مرة وثانى مرة وهم الذين قدموها

على مسرح التاريخ ، ومن ثم ليس إلحاقاً ولا افتئاتاً بل اعترافاً بحقيقة تاريخية تماماً كما سميت الدولة العثمانية على اسم أسرة عثمان !

فإذا عدنا للنص الشريفى نجد أنه حافل بالأكاذيب فالذى يقرؤه يظن الملك حسين من البوربون أو القياصرة أو حتى ملكاً من أسرة محمد على وليس شيخ بدو إلى أن ظهر النفط وفاض عليه فأصبح صاحب الجلالة .. أما أن شيوخ البدو كانوا ينظرون لأجداده باعتبارهم « أشراف الشيوخ » فهو من إنشاءات الأستاذ هيكل أستاذ الظرفاء فى منافقة الملك والرؤساء .. إن حكاية الشريف لم تكن تساوى فى العلاقات العربية درهماً ولا ديناراً . (حكاية هاشمى وأسرة هاشمية وعرش هاشمى لم تكن شائعة وإنما روجها الإنجليز) وحتى لقب الشريف لم يكن موضع اهتمام لا من الناحية السياسية أو الاقتصادية إلا أثناء الحرب العالمية الأولى عندما نفخ الانجليز فى الأسطورة لمواجهة نفوذ الخليفة العثمانى المتحالف مع الألمان وأغدقوا الذهب على الملك حسين أو شريف مكة الذى لم يكن أكثر من شيخ بدو باعتراف ابنه الملك على فراح يشترى الولاء للانجليز بالذهب وكان الجميع يعرفون الجهة التى يحصل منها الشريف على الذهب فكان العرب عندما يدعوهم لتأييد الانجليز ضد الترك يقولون له ابعث لنا ممن ذهب المعلومين ! وما أن انقطع الذهب حتى أطيح بالشريف .. وقال له عبد العزيز : لقد هزمتك لأنك خلعت ثوب جدك وأنا لبسته .

وأصبح اسم الشريف لعنة على كل لسان فى العالم العربى والعائلة الهاشمية فى الأردن والعراق رمزاً للخيانة وما نزل بالعرب حتى إن **Randall Baker** مؤلف كتاب الملك حسين ومملكة الحجاز يقول : إنه ألف كتابه هذا لإنصاف الملك حسين فالفكرة الشائعة عنه أنه باع الأمة العربية فى فجر ميلادها عام ١٩١٦ وان اسمه مازال يثير الحنق إلى اليوم من فلسطين إلى اليمن ص ٤٧١ .

أما قبل الذهب الانجليزى فلم يكن من مصدر لثروة شريف مكة إلا نهب الحجاج والمظالم والمصادرات حتى كان حكم الشريف هو رمز للمفاسد والتخلف وكان كل شيوخ الخليج أغنى منه بالتجارة وصيد اللؤلؤ .. وقد دخل تحت طاعة السعوديين بعد أن حاربهم « فهزموه فرجع إلى الطائف وأحرق داره وخرج هارباً إلى مكة » وفى النهاية يقول الجبرتى : لم يسع الشريف غالب إلا الدخول فى طاعتهم (طاعة السعوديين) وسلوك طريقهم وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها .. وغير ذلك ، فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون سيد الجميع محتاج إليها فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها .. فعاهد الشريف ابن

سعود على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله .. الخ [1].

فمن الناحية التاريخية خضع الأشراف لطاعة البدو ولم يحدث العكس أبداً ، فلم يكن للأشراف أى سلطة على أحد ممن يطلق عليهم اليوم عرب النفط وبدو النفط طردوا الأشراف نهائياً من الجزيرة .

ولم تكن للشريف مكانة خاصة لا عند محمد على ولا الدولة العثمانية ولا الجيش التركى فقد « استولى الباشا محمد على على موجودات الشريف غالب من نقود وأمتعة وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهم من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً وهتك حرمته .. حتى إنه لما ركب خرج مع العسكر وهم متوجهون به إلى جدة أخذوا ما فى جيبه .. وكل الذى وقع وسيقع له فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة » .

فإذا عدنا للحاضر فقد كان الأمير عبد الله جد الملك حسين يعيش على معونة الانجليز ولما ظهر النفط داس على كرامته ومد يده لشيوخ الخليج وفى عهد الحسين تدفق النفط على جلالته حتى إننا لا نغالى إن قلنا إنه كفرد نال أكبر حصة من مال النفط فى شكل مرتبات وهدايا وعمولات عن صفقات السلاح التى كان يشتريها من مال النفط فلما حاولت بعض الدول النفطية

(1) ص ١٧٤ من كتاب السعوديون والحل الإسلامى .

شراء السلاح وتسليمه للأردن رفض الملك وسلط عليها الإعلام لأن الهدف كان حرمان جلالته من العمولة عن السلاح الذى لم يستخدم قط إلا فى ضرب الفلسطينيين . ثم تقررت ميزانية خاصة للأردن لدعم صموده فى شوارع عمان وكان آخر رقم ٣٠٠ مليون دولار سنوياً .. واستغل الأردن كل أزمات العالم العربى وعرض جيشه لحماية الأنظمة الخليجية وفتحت هذه الدول أبوابها للخليجيين حتى شاهدت عمان أعلى معدل تنمية فى تاريخها بعد أن فقد الحسين نصف البلاد .. إذا كان البدو لم يدفعوا فكيف أصبح الهاشمى أغنى رجل فى العالم أو حتى من أغنى بضعة رجال فى العالم ؟ من مرتب المخابرات الأمريكية ؟ المرتب كله عشرة ملايين دولار فهل تكفى لتكوين هذه الثروة ؟

عودة الحاوى الطروب ![1]

أخطر ما فى مقال هيكل هو الفقرة الأخيرة التى لخص فيها دعواه بقوله : « إن الشرعية أكثر من مجرد المحافظة على الدول وحدودها . إن الشرعية أولاً وأخيراً يجب أن تكون تعبيراً عن واقع الجغرافيا والتاريخ،إن الشرعية يجب أيضاً أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الإنسانية وحقيقة أن كل هذه الأمور تتغير مع الوقت » ..

هذا هو أخطر ما قيل حتى الآن — إنه إعلان الوطن العربى مدينة مفتوحة مباحة لكل من له طموح أو تطلعات ولكن لنؤجل تفصيل ذلك حتى يأتى فى سياقه كما قال .

بدأ هيكل بشهادة الزور التى يبدأ بها كل أعوان صدام حسين وأعنى استنكار الغزو ثم يجعلونه أساس الشرعية فى

(1) نشرنا هذا المقال فى جريدة الوفد فى اكتوبر ١٩٩٠ .

ما يطرحونه من تسويات ، أو يرفعون من شعارات ، وقديماً لخص مايلز كوبلند الدور الذى كان هيكل يلعبه فى أيام الناصرية فقال : « إن مهمة هيكل كانت تحلية قراراتنا ومطالبنا المرة ليسهل على عبد الناصر ابتلاعها وتبليغها للعالم العربى » .. ويبدو أنه قد عاد لمزاولة مهنته فقد حاول استخدام كل ما بقى وتعطن من سكر الستينيات لتحلية العلقم الذى قذفه الغزو العراقى فى حلق الأمة العربية .. وقد استخدم هيكل كل ما فى جعبته لتحلية الغزو فقال إنه لا يبرئه ! وهو تعبير لا يرقى للإدانة ولكنه لا يهبط إلى التأييد الصريح ، حتى لا يغضب الناشر الانجليزى الذى يحشد قواته وأساطيله لضرب الغازى وسط أكبر تأييد شعبى عرفته بريطانيا لسنوات ..

فهو خطأ ، أى الغزو ، ولكنه فعل مجنون دبر بليلة ، بل له مبرراته ويمكن أن يكون الشر الذى يأتى منه الخير ! .. والخير هو هذا الحل الذى توصل إليه وإن أجل إعلانه إلى نهاية المقال لكى يزداد شوقنا ، ومفضلاً أن يعلم قراءه بعض التاريخ .. ومن ثم يتلو علينا الأسطوانة المشروخة عن قبائل الخليج وحدودهم التى « كانت نتاجاً للعبقرية البريطانية » ..

والذين يعانون فقراً ثقافياً نتيجة اقتصارهم على قراءة هيكل سيظنون أن حدود دول الخليج هى وحدها التى رسمتها السياسة لا التاريخ ولا الجغرافيا . أو هى وحدها التى لا تنطبق حدودها

على شعوبها .. أما الذين أتيح لهم بعض العلم فيعرفون أن كل الوطن العربى ، بل كل الشرق الأوسط إنما خططت حدوده وفق الصراعات والمصالح الأجنبية الاستعمارية . ولطالما تغنى صدام حسين فى شبابه البعثى باللواء السليب أى الإسكندرونة ، التى اقتطعت من سوريا ومنحت لتركيا لتسكت عن ضم الموصل للعراق . وهناك الصراع المسلح بين تشاد وليبيا . ومن مصر اقتطعت السياسة الاستعمارية ، بالقوة من ترابها ، واحة جغبوب بعد أن اعترف العالم بها كجزء لا يتجزأ من مصر لزمن أطول من عمر التاريخ ! وهناك حلايب بين مصر والسودان ، والنزاع على الحدود بين المغرب والجزائر بدأ مع اليوم الأول لاستقلال الجزائر ، ومازال بصورة أو أخرى حول الصحراء . بل وأكثر من دولة ما كانت لتوجد إلا بفضل السياسة الأجنبية مثل موريتانيا والأردن وفلسطين ولبنان إلى حد ما .. والعراق ذاته هو أكبر شاهد على ذلك لا من جنوبه فحسب بل من شرقه وغربه وشماله ولو كانت بريطانيا قد احتلت تركيا بدلًا من العراق لكان الموصل ونفطه الآن فى تركيا وليس الأنابيب وحدها . ولو خرجت فرنسا من الحرب العالمية الأولى أقوى من بريطانيا لكانت الموصل قد ألحقت بسوريا وكانت دمشق هى التى فى الأوبك ، ولكانت مطالبة العراق بالعدالة العربية فى توزيع عائدات النفط أكثر صدقاً ! إذ من الغريب أن تصدر هذه

الدعوى من العراق أغنى الدول العربية النفطية ، ومن أبرز مصدريه ، والذى يملك ثانى أكبر احتياطى للنفط بين العرب . وهو أيضاً الدولة النفطية الوحيدة التى تمتلك مصادر هائلة من المياه والأراضى الزراعية والطاقة البشرية . وهو أيضاً الدولة النفطية التى لا تدفع مليماً لعرب المدن الفقراء ولم يتقدم العراق يوماً واحداً باقتراح لعدالة التوزيع أو تذكر مصر والعرب الفقراء ، حتى أطبق عليه فخ الكويت فلبس عمامة التقوى ونشر قميص الحق المعلوم للشعب المحروم .

ومهما قيل عن الدخول والإنفاق فى دول الخليج فهى وحدها التى دفعت . والعراق كما كتبنا من عشر سنوات هو الذى تزعم إنشاء أوبك لكى يخرج الدول غير النفطية ومصر بالذات من النفط قراراً وتوزيعاً .. وعراق صدام حسين كما قال الرئيس حسنى مبارك هو الذى تزعم ونفذ بالإرهاب خطة حرمان مصر من الطوفان المالى الذى جاءت به سنوات السبعينيات بحجة خيانة مصر للقضية الفلسطينية ، وفى هذا الوقت بالذات كان هيكل يحرض أعضاء الكونجرس الأمريكى على مقاطعة مصر ومنع الدعم عنها حتى اضطر رئيس جامعة بوسطن والسفير الأمريكى السابق فى مصر إلى تذكيره بأنه حتى فى الولايات المتحدة فإن القانون يعاقب من يحرض دولة أجنبية على الإضرار ببلده . فليس الجيل الجديد من أولاد القبائل هم

الذين حرضوا على تجويع مصر بل صدام حسين وهيكل وكل التقدميين بل إذا كانت القبائل قد اشتركت فى المقاطعة فبعد أن سحبت عليهم المسدسات كما قيل !

وهيكل مثل كل الذين يتعمدون عرقلة حل المشكلة ، وإطالة الأزمة لزيادة فرص التدخل الأجنبى ، كلهم يتغنون بالحل العربى ، فهو الأنظف و « الأكثر ملاءمة للنفسية العربية » وكأنه اكتشف البارود ، أو كأن الإنسان العربى فى محنته هذه يقف فى سوبر ماركت الحلول ، فينصرف عن الحل العربى ويفضل الحل المستورد !

هذه الوطنية المفاجئة مشبوهة لعدة أسباب :

* الذين ينادون بها لم يلتزموا بها ، فصدام حسين لم ينتظر أى حل عربى لخلافه مع الكويت ، بل أعطى كل القوى الفرصة الذهبية للتدخل وفرض حلولها بإقدامه بقرار منفرد على غزو الكويت .

* والذين يحاولون إطالة احتلال الكويت بالحديث عن حل عربى ، هم الذين ساهموا فى نجاح المخطط العراقى بتدمير الجامعة العربية أو على الأقل شلها تماماً ، والجامعة العربية هى المصنع الوحيد المهيأ والمصرح له بإنتاج الحل العربى ، ولذلك تعمد المخطط العراقى تحطيمها ، وقص أجنحة مصر والدول التى يعرف

أنها ستعارض غزوه ! وما هذه الاستقالات والأزمات إلا لسد الطريق على الحل العربى ..

* إذا كان صدام حسين مؤمناً بالحل العربى لماذا لم يلتزم بهذا الحل فى خلافه مع الكويت بدلًا من اللجوء للدبابات ؟! سيقول المنافقون من الكتاب .. إنه حاول ولم ينجح بسبب عجز الجامعة العربية أو سوء طويتها أو الاثنين معاً .. تماماً هو كذلك فعلًا ! فماذا جد بعد احتلال الكويت لكى يستقيم سلوك الجامعة العربية وينبثق منها الحل العربى ؟! الجامعة بسبب من عجزها أو فساد نيتها لم تستطع أن تحل خلافاً حول ديون مالية أو نسبة توزيع حقل نفط ، كيف ستستطيع حل قضية احتلال ومحافظة ١٩ وأمم متحدة وعالم واقف على سنه كما يقول العامة ؟! هل سيتحسن سلوك العرب ، لأن صدام وراهم العين الحمرا .. ليكن .. فهناك من عينه أشد احمراراً ونابه أقطع .. بمن يغرر دعاة الحل العربى بعد أن استخدموا الحل المسلح ؟! ..

وفى عام ١٩٦٠ عندما هدد حاكم العراق باجتياح الكويت طلب حاكم الكويت الجنود الانجليز فجاءوا وعسكروا على الحدود السعودية العراقية ، ولأن عبد الناصر لم يكن عميلًا لبغداد ولا راغباً فى استمرار الوجود البريطانى لذلك لم يبدد الوقت فى استنكار استدعاء الأجنبى ، ولا استصدار الفتاوى ضد مشروعية هذا الاستدعاء . بل بادر بإرسال الجيش

المصرى[1] ، ولم يقل أحد يومها أن العسكر المصريين ليسوا إلا غطاء للجيش البريطانى .. كان الناس فى بلادى أقل وقاحة ، أو قل كان عبد الناصر يعرف كيف يلزمهم حدودهم .. فلما تكونت القوة العربية ومعها الحل العربى .. تم التسليم والتسلم على حدود الكويت وانسحب الانجليز .

أكثر من هذا فى تلك المرة جاءت بريطانيا منفردة وبدون قرار من الأمم المتحدة ، وبريطانيا كانت تستعمر الكويت ولم تخرج إلا منذ شهور ، بل أسابيع .. ومن ثم كانت شبهة عودة الاستعمار أكبر .. أما اليوم فأمريكا لم تكن تحتل السعودية وأمريكا لا تقف وحدها بل تشترك معها بالرجال أو المال أو الالتزام السياسى ، جميع القوى العالمية المؤثرة عسكرياً ، أو مالياً ، أو سياسياً ، وكلها ملتزمة بقرار الأمم المتحدة وأعلن فى جميع المناسبات أن اتفاقية الاستدعاء تنص على حق الدولة الداعية فى إلغاء طلبها . ومن ثم فالسبيل الوحيد لكى تتحول هذه القوات إلى ما يشبه قوات الاحتلال فى القرن التاسع عشر هو استمرار المبرر العراقى . ونقول اليوم (مايو ١٩٩١) إن هذه القوات لم تحتل إلى الآن إلا العراق الذى اقتحمته من الجنوب

(١) والغريب أن الذى أيد إرسال الجيش المصرى لليمن والكونغو والجزائر للحرب ضد المغرب يطالب باستفتاء على إرسال الجيش للسعودية .. متى استشرتم لتستشاروا ؟!

والشمال .. فالذى أعاد المنطقة لعصر الاستعمار هو العراق ، وأول مستعمرة هى العراق التى تحدثت عنها المجلة الأمريكية فأوجعت : « شيعة .. ؟ سنى .. ؟ كردى .. لا يهم فهى مستعمرة أمريكية »[1] .

أليس مما يثير الشبهة أن كل الذين يصرخون ضد الوجود الأمريكى يتعمدون رفض مطالبة العراق بالانسحاب ، وكأنهم يصرون على إعطاء أمريكا المبرر للبقاء ؟!

ولم يكن الانزال البريطانى عام ١٩٦١ هو آخر الاستعانة بالمشركين ، فخلال الحرب الإيرانية العراقية ، استعانت الكويت بالعلم الأمريكى أو ما يشبه الحماية الكاملة بمفهوم القرن التاسع عشر ، ولم تحتج بغداد ولا أنصارها .. وحدث إنزال أمريكى فى أكثر من موقع بالخليج مع استحسان العراق وحاكمها .. ثم جاء الأسطول الأمريكى فى أكبر حشد بحرى منذ الحرب العالمية الثانية ، ليدافع عن مياه وسماء العراق وأسقطت مدفعيته حتى الطائرات المدنية الإيرانيَة ، ولم نسمع فتوى واحدة عن مشروعية الاستعانة بالكافر فى محاربة دولة مسلمة ، ولا صدرت فتوى بأن الحرب الأهلية بين المسلمين أفضل من الأسطول الأمريكى ! .. مما يؤكد تجنى ونفاق المتدينين الجدد .

(١) نيوزويك ١٩٩١/٤/١ .

* ليس سراً .. إن الشعب الكويتى وليس آل صباح وحدهم يأخذون على حكومة الكويت الحالية أنها ظلت متعلقة بأوهام الحل العربى ولم تأخذ بحرص الشيخ عبد الله السالم الذى فضل أن يعقل الأزمة بلواء المظلات البريطانى ثم يتوكل على الحل العربى ! ويقول الشباب الكويتى ممن كانوا يؤيدون شعارات صدام وحرب صدام أنهم دفعوا ثمن التعلق بأوهام الحل العربى . فهل كان المطلوب من السعودية أن تقف ساكتة والجيش العراقى يتقدم نحو الحدود السعودية . والرئيس الأمريكى يصدر تعليقات غريبة لا توضح له موقفاً ؟! لماذا تقدم الجيش العراقى نحو الحدود السعودية ، لماذا قامت طائراته بثلاثة اختراقات للمجال الجوى السعودى ، ولماذا عندما اتصل السفير السعودى فى واشنطن ببغداد فى المرة الأولى ردوا عليه رداً هزلياً من طراز « أغاتى .. ماكو بينا مجال جوى .. حنا وطن واحد ! » ثم قطع الخط الساخن الذى كان قد أُقيم بعد توقيع معاهدة عدم الاعتداء .. أليس من حق المؤرخ أن يستريب فى السلوك العراقى ويرى أنه كان يهدف إلى فرض وضع بعينه على صناع القرار فى السعودية ؟! [1] .

والآن ما هو الحل العربى المطلوب ؟! .. أنصار الاحتلال

(١) أخذ هيكل قولنا هذا وجعله فى الطبعة العربية (**طبعاً**) الرد على اتهاماته هو نفسه فى الطبعة الإنجليزية انظر ص ٤٣٠ من حرب الخليج .

العراقى والوجود الأجنبى يقولون : تسوية سياسية .. وهم نشطون جداً فى الوساطة ولكن بين من ومن ؟ .. ما هو المطلوب من السعودية أن تتنازل عنه ؟! لا أحد يعرف ..

أما الذين يقلقهم مصير الوطن العربى حقاً فهم يقولون ببساطة أن البحث عن حل أو تسوية أو مساومة خارج قرارات الأمم المتحدة والجامعة العربية ، يعنى فتح الباب لأطراف غير عربية .. ولذا فالحل الوحيد لإنقاذ الموقف هو الانسحاب العراقى الفورى .. وبعد ذلك تفتح كل الملفات وهى ستفتح شئنا أو أبينا ، ولن يكون ذلك لصالحنا وهذا ينقلنا إلى الحل الذى يقدمه « هيكل » .

وبداية نقول إن أكبر جريمة يرتكبها المثقف أو السياسى العربى ، اليوم ، هى الدعوة لإعادة تقسيم الثروة العربية أو لرسم جديد لحدودها ، بينما ربع مليون جندى أجنبى على أرضنا وأساطيل وطائرات العالم كله مستعدة لتطبيق شعار « من حضر القسمة فليقتسم » ! الوطنية هى العمل على إنهاء هذا الوضع ثم بحث قضايانا فيما بيننا واضعين فى اعتبارنا النتائج المدمرة للمغامرة العراقية على الفكر العربى فى الخليج .. وسيكون علينا أن نبذل جهداً خارقاً لمنع « الجماهير » فى دول الخليج وغيرها من طلب الحماية من كل القوى الرادعة فى المنطقة وخارجها .. « كل القوى » أقولها عامداً .. لكى يدرك البعض فداحة الجرم

الذى ارتكبه صدام حسين ويبرره هيكل .

ولست أريد أن أخوض فى حديث مال النفط ولا كيف أنفق ولا كيف يجب أن ينفق فكما قلت إن هذا هو أسوأ وقت لفتح هذا الملف ، لأننا إذا دعونا لوليمة النفط فى ظل هذا الحشد العالمى فلن نكون وحدنا المدعوين للوليمة بل سنصبح مادة الوليمة ! .. ولذا فحسبى أن أشير إلى بعض الهوامش فأسأل :

« هل كان انفاق النفط فى دول المدن التقدمية أكثر حكمة وعائداً منه فى دول الصحراء القبلية على المستوى القومى أو حتى القطرى ؟ .. هل أنفاق فرد ثرى مهما كان سوء تصرفه يعادل إهدار القيادة الثورية ثروة أمة بالكامل مالًا وبشراً ومدناً فى حرب خاسرة لا تحقق إلا الدمار والإفلاس ؟! من هى الدولة الخليجية التى أنفقت معظم دخلها النفطى على تدمير ذاتها فى الحرب مع جارة عربية أو جارة مسلمة .. ولا أذكر أسماء وإنما أنبه إلى أن العراق ليس وحده الدولة الثورية التى ارتكبت هذا الجرم ..

وبدلًا من إحصاء عدد الشيوخ ، وقد أصبحوا يعدون بالآلاف ، كم هم عدد الضباط الذين امتلكوا ثروات الدول « التقدمية » وتحكموا فى مصائر شعوبها وقادوها عبر الهزيمة والسفه إلى الخراب الشامل ؟ .. إن الحديث عن صيغة جديدة

لدورة مال النفط ، مطلب مطروح منذ سنوات عديدة تصل إلى نصف قرن ، وفى أول مؤتمر للنفط العربى عقد فى القاهرة طالب المرحوم أميل البستانى بتخصيص خمسة بالمائة من عائدات النفط لتنمية الدول العربية غير النفطية وكان اقتراحاً إيجابياً وبداية عملية للتفكير عربياً ، فهوجم من قبل صحافة الناصريين واليساريين وفى مقدمتهم هيكل بوصفه اقتراحاً استعمارياً ودسيسة إمبريالية تهدف إلى إخفاء المطلب الرئيسى وهو تأميم النفط !!

وللحقيقة فإن مطلب تأميم النفط .وإن كان قد طرح على ألسنة سكان المدن اليساريين فى القاهرة ودمشق ، وأيضاً على لسان المثقفين السعوديين والكويتيين لكى لا نظلم الناس حقها ؛ فالحقيقة أيضاً أن هذا الشعار لم ينفذ إلا بعد أن سكتت تماماً هذه الأصوات وأصبح القرار فى يد الصحراء وقبائلها أو ما أرخه هيكل وقتها تحت عنوان « الحقبة النفطية » يوم راح يبشر بزوال دور مصر ! محاولًا خطب ود هذه القبائل وعرض نفسه على صحافتها .

والحديث عن عدالة التوزيع حديث محبب عند التقدميين واليساريين وهو يتشبه بهم فيضرب لنا المثل بأوربا والوحدة التى حققتها .. ولو كان يعتمد العلم أو حتى الصدق لعرف أن أوروبا حاولت إعادة توزيع الثروات مرة بالحل النابليونى ثم بالحل

الهتلرى أو الستالينى وكلها انتهت بالفشل الدموى ، لأنها اعتمدت منطق المجال الحيوى أو حتى العدل وتجاهلت « القبلية » القومية التى تنشأ من مجرد الارتباط بأرض معينة ، وتترتب لها حقوق بمجرد هذا الارتباط .. وإلا فإن الشكوى من ضخامة حصة الأمريكان الجغرافية ، كانت ولا تزال تتردد فى أدبيات الهنود والصينيين والمكسيكيين .. ولكن ما من أحد يقترح تقسيم أمريكا أو أخذ حصة بالقوة فى قمحها الذى لا يزرع ولبنها الذى لا يشرب ..

إن إصلاح الوضع العربى لن يتم بالقوة ولا بالارهاب الذى لن يحقق إلا دخول وحوش أكثر قوة وإنما يجب أن نتعلم من الحل الأوربى ، الذى اعترف بالسيادة « القبلية » لكل دولة على مواردها وأكد احترام الحدود بكل ما فيها من ظلم ثم خلق الصيغة التى تقنع بأن تخطى هذه الحدود يحقق زيادة فى مجموع الثروة ، من ثم زيادة فى حصة الطرفين .. أما التفكير بأخذ فردة أو ضريبة مرور أو بقانون الغابة .. فلسنا وحدنا فى الغابة ، ولا العراق هو أقوى وحوش هذه الغابة .. فإذا فتحنا ملف التنمية العربية والدورة الصحية لرأس المال العربى .. فلعن الله من أخذ أموال الناس بالإرغام[1] وجعل حتى رأس المال المصرى يفر هارباً

(١) إشارة لقصيدة الإمام أحمد التى فكت الاتحاد الثلاثى .. وقال فيها : وأخذ مال الناس بالارغام .. شريعة ليست من الإسلام .. اخ .

مشرداً يبحث عن الأمن ولو فى بلاد المشركين ولعن الله من حول العامل العربى إلى لاجىء ضائع بلا حقوق ولا كرامة .

ثم نصل إلى الوشاية التى وشى بها عما يدبر للمنطقة وإن طرحها فى صيغة حكمة ثورية عندما قال : « إن الشرعية أكثر من مجرد المحافظة على الدول وحدودها . إن الشرعية أولًا وأخيراً يجب أن تكون تعبيراً عن واقع الجغرافيا والتاريخ . إن الشرعية يجب أيضاً أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الإنسانية وحقيقة أن كل هذه الأمور تتغير مع الوقت » ..

لقد أسقط هيكل شرعية الوطن العربى كله وفتح الباب على مصراعيه لإعادة رسم حدوده .. لا على أساس الشرعية الحالية لدوله بل على أساس التطلعات والطموحات الإنسانية .. تطلعات من وطموحات من ؟! صدام أم المهاجرين السوفييت .. هذه هى قنبلة هيكل وسر الاهتمام بدعواه . لقد أعلن الوطن العربى أرضاً بلا شرعية أو كما كانوا يقولون : **NO MAN,S LAND** أرض بلا صاحب .. ودعا إلى اغتصابها !

ما لن ينشر فى مصر من كتاب هيكل[1]

ليست هذه مناقشة لكتاب هيكل الجديد ، وإنما مجرد نقطة نظام أتقدم بها احتجاجاً على الأسلوب الذى تم به النشر فى مصر . فقد حجب عن القارىء المصرى أهم ما يعنيه ويعنى المؤلف فى نفس الوقت ، وأعنى رأى الأستاذ هيكل فى موقف حكومتنا من حرب الخليج . فلا يعقل أن يعرف الناس خارج مصر ذلك الموقف ويمنع المصريون وحدهم من تلاوته !

وعلى أية حال ليس كتاب الخليج هذا ، أفضل كتب الأستاذ ولا من أفضلها وقد اعتذرت صحف بريطانيا عن نشره بحجة انشغالها فى الانتخابات[2] .. ولابد أن للسن اعتباره بالطبع ، ولكنى أعتقد أن المهمة التى ألف الكتاب من أجلها كانت أصعب من مهاراته التى لاشك فيها .. فقد استهدف إخراج الملك حسين البطل العربى الوحيد والأوحد فى أزمة الخليج ، الرجل الذى خاطر بكل شىء ليمنع الحرب ويمنع التدخل الأمريكى وينصح صدام بالانسحاب المرة تلو المرة ، ويتفق مع الرئيس المصرى لتهدئة الجو فيغدر به رئيس مصر الذى حمله

(١) هذا هو المقال الأول فى التعليق على كتاب هيكل .

(٢) راجع ما كتبته أخيراً الصنداى تايمز فى السخرية بالكتاب والكاتب .

الأستاذ هيكل مسئولية كل ما جرى أو على الاقل مسئولية ضياع فرصة الحل العربى استجابة لتوجيهات الأمريكان . هذا هو الخط العام للكتاب ، وهى كما ترى مهمة صعبة للغاية وقد بذل غاية جهده ، ولكن أغلب الظن خانه التوفيق ، لأن حقائق التاريخ أقوى .

بالنسبة للملك حسين فقد شاركنا الأستاذ هيكل حيناً من الدهر فى عداوته والتهجم عليه بالحق والباطل ، ومازلنا لا نثق فى سياساته ، أما الأستاذ هيكل فقد رأى من برهان ربه ما لم يصلنا بعد ، فغير موقفه وأثنى على الرجل ونقل اتهاماته لحكومتنا ورئيسنا بدون تعليق بل كحقائق مسلم بها .

فالملك كان مع الرئيس بوش يحاول جهده أن يثنيه عن ضرب العراق « عندما جاءت مكالمة تليفونية من مبارك لبوش الذى بعد أن أنهى المكالمة قال لحسين ، هذا واحد من زملائك يخشى أن أستخدم القوة بسرعة وإلا سينفجر الشارع العربى » . ص ٢٥٢ .. ولن ننقل كل ما تفتقت به قريحة الكاتب فى تبييض دور الملك حسين بل حتى ولى عهده الحسن .. فهذه قضية أخرى لابد أن يكون لها أكثر من تفسير !

أما بالنسبة لحكومتنا فسجلنا فى مدحها منذ محمد على لا يصل إلى صفحة فى سفر ما كتبه الأستاذ ، ولكن فى أزمة

الخليج نشهد أن رئيسنا قد فعل كل ما فى وسعه ليمنع صدام حسين من تدمير العراق ، إلى حد إبلاغه بنوايا بوش بعد الاجتماع الذى عقد معه فى القاهرة[1] ، فما زاد صدام عن أن قال له : إنه لا يصدق أن عربياً يقف مع الأمريكان وإسرائيل .. هذا فراق بينى وبينك !

ولكن الأستاذ هيكل يقدم صورة أخرى فهو يكرر أن الرئيس فى الساعات الأولى للأزمة كان يقول : « أنا حاسس أن مخى مقفول » .

وأن صدام كان قد اقتنع بضرورة الانسحاب وكل المطلوب صيغة تغطى الانسحاب وهذا ما تكفل به الشهم حسين بن طلال (وأللانقول كان هيكل زمان بيقول ابن مين ؟) فاتفق مع مبارك على أن يذهب لبغداد وينتظر الرئيس مكالمة من الملك قبل اتخاذ أى موقف .. ولكن الملك يفاجأ وهو فى عنفوان مساعيه الحميدة ببيان رسمى مصرى يدين الغزو العراقى وانزعج الملك من خرق الاتفاق ولكن الرئيس « اعتذر بأنه كان تحت ضغط الصحفيين والرأى العام ، ولم يقتنع الملك حسين لأن الصحفيين

(١) القول بأن الرئيس كاد أن يفشى نية بوش من شدة حرصه على إنقاذ العراق اقتبسها الأستاذ من كتابنا ، وهى غير منطقية ولا منسجمة مع عرضه فكيف يكون الرئيس مشتركاً فى التغطية ويحذر صدام ؟! ولذلك جعلها زلة لسان . انظر ٤١٦ من كتابه العربى .

المصريين لم يعرف عنهم الضغط على رئيسهم » ص ٢٠٩ .. وما ينبئك مثل خبير ! ويتابع الأستاذ : « وقد أدهش توقيت البيان وزراء الخارجية العرب حيث أنه صدر قبيل اجتماعهم الذى تقرر بناء على طلب مصر ، وبدا البيان وكأنه نسف كل الجهود التى حاول مبارك أن يساعد بها مهمة الملك حسين فى بغداد » .

« كان صدام لا يزال مقتنعاً بإمكانية عقد القمة المصغرة يوم ٥ أغسطس ولم يكن يدرى أن مبارك صرف النظر عنه منذ خلافه مع الملك حسين » أما ما تفسير هذه الطعنة فى ظهر الملك ومساعيه ؟ وتفسير التحول فى موقف مصر .. فيقول هيكل : « ولكن بوش كان قد تلفن لمبارك ويبدو أن إصرار الزعيم الأمريكى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم » ص ٢١٠ .

« إن السماح للبارجة إيزنهاور بعبور قناة السويس جعل العراق يرجع عن فكرة الانسحاب » ص ٢٢٤ .

ويردد الأستاذ حملة العراق والمؤيدين له على قرار الجامعة العربية الذى أدان الغزو العراقى وطالب بإرسال قوات عربية إلى الخليج فيحكى قصته هكذا : مشروع القرار وضع فى سرية تامة ، ولكن بقية السلف استطاع أن يحصل على نسخة « وقرر على الفور (الملك الحسين) أنه لم يكتب باللغة العربية ، فلغته

تبدو كأنها ترجمة سيئة عن لغة أجنبية وشاركه آخرون فى نفس الانطباع وانتشرت إشاعة أن الأصل كتب بالإنجليزية .. وأسقط فى يد الملك حسين وجلس مسنداً خده إلى يده وقال : لقد شعرت على الفور أن هذا سيكون أكثر القمم مأساوية فى تاريخ أمة العرب » ص ٢٢٩ .

ويتابع الأستاذ : « أحس الكثير من الوفود أن المطلوب منهم هو أن يبصموا على القرار . وهنا اعترف الوفد المصرى أنه قد تم عقد مؤتمر لوزراء الخارجية ولكن فى وقت متأخر من الليل ولم يضم إلا دول الخليج ومصر وسوريا ولبنان وأنهم صاغوا القرار ، واعتذر الوفد المصرى عن عدم دعوة بقية الوفد بقوله لم نحب إزعاجكم » .

ويستمر الأمين على تاريخ الهلال الخصيب فى فضح دور مصر فبعد أن حصلنا على التعليمات من أمريكا وترجمت ترجمة سيئة حاول الرئيس عرفات إنقاذ الموقف فتقدم باقتراح إرسال وفد إلى صدام يطالبه بالانسحاب « وعرف بعد ذلك أن هذا الاقتراح كان بموافقة بغداد ولكن فى هذه اللحظة قدم سعود الفيصل ورقة لفهد وقرأها الملك وفوتها لمبارك وانقلب الجو تماماً كانت فكرة إرسال وفد لبغداد بدأت تحظى بالقبول من الوفود ، ولكن الرئيس مبارك بدأ يظهر نفاد صبره من هذا الاقتراح » « وفاجأ مبارك الجميع بطرح القرار للتصويت واحتج على الفور

رؤساء آخرون وطالبوا باستمرار النقاش ولكن مبارك أصر على التصويت مَنْ مع القرار ومَنْ ضده وجلس القذافى مذهولًا من حركة مبارك ، واحتج عدد من الوفود بأن القرار يجب أن يصدر بالاجماع ولكن الوفد المصرى لم يقبل ذلك . لم يحدث قط أن اتخذت الجامعة قراراً بالأغلبية فى أمر هام مثل هذا .. لم يستغرق الأمر أكثر من ساعتين لخلق أعمق انقسام فى تاريخ العرب وسقطت آخر فرصة لحل عربى » ص ٢٣٤ .

هذا هو عرض هيكل لما جرى ولذا لقد أحسست أن من واجبى نحو المهنة ونحو القراء ونحو المؤلف أن نعرف المصريين ، بما لم يأتهم نبؤه [١].

عودة لموقف هيكل القبيح !

عندما سافر هيكل للولايات المتحدة للتحريض ضد السادات ، نشر رئيس جامعة بوسطن السفير الأمريكى السابق فى مصر مقالًا غمز فيه الكاتب الكبير غمزتين :

الأولى كانت حول نشاط المخابرات الأمريكية فى مصر فى عهد عبد الناصر .

---

(١) نشرت بالأخبار ١٩٩٢/٣/٣٠ والاستشهادات كلها من الطبعة الإنجليزية إذ لم تكن العربية قد صدرت بعد .

والثانية هى قول السفير الأمريكى « إنه حتى فى الولايات المتحدة يوجد قانون يعاقب من يستعدى بلداً أجنبياً على وطنه » .

ويبدو أن الأستاذ لم ينتصح فكتابه الأخير هو تحريض ضد مصر باتهامها أنها هى التى منعت الحل العربى ومكنت الولايات المتحدة من ضرب العراق ، فهو كما أشرنا يزعم أن الرئيس مبارك منع هذا الحل العربى بإصدار بيان استنكار الغزو قبل عودة الحسين من العراق ، وبإصدار قرار الإدانة من الجامعة العربية . وهو حديث أقل من مستوى الافتراءات التى عودنا عليها الأستاذ الذى قال هذا الأسبوع فى مقابلة مع الإذاعة الأمريكية إن صواريخ عبد الناصر كانت صفيح أو كما نطقها سفيح وكررها أكثر من مرة . رحم الله عنوان : تقدمنا أذهل العالم الذى كان مانشت إعلان القاهر والظافر أيام الإعداد للهزيمة الكبرى ! [1] .

المهم هل صحيح نسفت مصر الحل العربى ، وهل صحيح ساعد الرئيس المصرى على تنفيذ أمريكا لمخططها فى ضرب العراق ؟

لن نكون مثل الذى حكم بالظلم ليشتهر بالعدل ، ولن

(١) وهو المانشت الذى وضعناه على غلاف كتابنا : « **كلمتى للمغفلين** » الطبعة الأولى .

تمنعنا أية اعتبارات من شهادة الحق .. فنقول أن الرئيس مبارك هو الوحيد الذى بذل كل جهد فى طاقة بشر لتنبيه العراق للمصير الذى ينساق إليه . بل وفى سبيل الهدف القومى وهو إنقاذ العراق ، لم يتمسك الرئيس بالحساسيات الشخصية وهو الذى كلما حاول نصح صدام حسين رد هذا بالشتائم والإهانات .

كان ضرب العراق لا يمكن أن يتم إلا إذا استمر الاحتلال العراقى للكويت ، وتحريض صدام على رفض الانسحاب ، حتى تكمل الولايات المتحدة استعدادها للضرب . وذلك بإقناعه أن الأوراق فى يده ومعظم العرب معه ، وإن موقفه قوى وإنه يستطيع أن يساوم ويفرض شروطه وإن الحرب مستبعدة وحتى لو وقعت فإن الجيش العراقى الجبار سينزل ضربات موجعة بالقوات المتحالفة مما يجبر أمريكا على قبول صلح مشرف .. إلخ التغرير .. وكان الموقف العربى الشريف هو محاولة منع الحرب باقناع أو إجبار صدام على الانسحاب قبل أن يضربوه .

فالملك حسين عندما سألوه هل ينصح صدام بالانسحاب رد ساخراً « ينسحب ونعود لنقطة البدء ؟! » .

محال طبعاً أن يقبل أعداء العرب أن نعود لنقطة البدء قبل الثانى من أغسطس عندما كان العراق مازال محتفظاً بقوته

ومصانعه وهياكله وشعبه .. محال يا صاحب الجلالة وإلا باظت خطة إفناء العراق وإذلاله وفك حتى المصانع وليس الصواريخ وحدها !

أما المناضل هيكل فقد رفض دعوة صدام للانسحاب بدون شرط وقال : « عندما يأتى أحد ويطالب دولة بالانسحاب غير المشروط فلابد أن تكون هذه الدولة مهزومة هزيمة مطلقة » (مجلة أكتوبر ١٩٩٠/١١/١١) !!! (وقد رددنا عليه وقتها : أو دولة عاقلة تحاول تجنب الهزيمة المطلقة المحتومة) .

نعم منع هؤلاء العراق من الانسحاب حتى تحققت الهزيمة المطلقة فانسحب ليس بدون شروط بل بشروط مذلة لم تفرض على دولة فى التاريخ ! ألم يكن الذين دعوا صدام للانسحاب بلا شرط كما صدر قرار الأمم المتحدة هم الذين أرادوا إنقاذ العراق ؟!

حاولت مصر منع الحرب وحاول الرئيس تحذير صدام إلى حد إبلاغه صراحة بتصميم بوش على الضرب .. فما أكثر ما صرح مبارك : « إن العراق سيكون الخاسر الأكبر فى الحرب وسيموت عدد كبير من العراقيين » . وفى خطابه فى عيد العمال قال الرئيس مبارك : « إنه بعث لصدام ينصحه بالانسحاب فوراً أو إعلان نيته فى الانسحاب قبل الهجوم الجوى « شتمنى » » .

ثم قبل الهجوم البرى نصحه بالانسحاب فوراً ..

وعندما يضطر الأستاذ هيكل لسرد الوقائع الحقيقية ولو لإرضاء الناشر الإنجليزى ، لا يفوته أن يدس تفسيراً يدين مصر ويبرىء صدام !

فهو يورد كيف استدعى الرئيس مبارك السفير العراقى يوم ١٩ أغسطس وطالبه بإبلاغ صدام استعداد مبارك للقيام بأى مبادرة تمكن العراق من الخروج من هذه الأزمة لكى لا يراق الدم العربى هدراً . فرد صدام بعد أربعة أيام أن مبارك هو المسئول عن الأزمة بانصياعه للأمريكان وأن الدم العربى على رأسه . ويتحمل رئيسنا فيدعو السفير مرة أخرى ، ويسلمه رسالة لصدام ينصحه فيها : أعلن استعدادك للانسحاب وثق أن ذلك سيغير الموقف تماماً . وفى ٢٢ نوفمبر كتب رئيس مصر للمدعو صدام حسين يقول له : أرجوك أناشدك حاول أن تنسحب وسنجد ما يحفظ كرامتك أو بالتعبير الشائع وقتها « حفظ ماء الوجه » . لا تعلق آمالاً على المعارضة لبوش فى الصحف الأمريكية . الخطر فظيع ويجب أن تتحمل المسئولية . إن راديو بغداد لا يكف عن سبنا ، ليكن .. واصل سبنا فقط استمع لصوت العقل . إنى أعتقد أنك لا ترى الصورة واضحة وأن هؤلاء الذين حولك لا يقدمون لك معلومات صحيحة عن تدهور الوضع .

وبعد مقابلة مبارك وبوش يكتب مبارك لصدام إن « بوش مصمم على العمل العسكرى وإن القوة الضاربة للأمريكان فوق ما نتصور فأية مواجهة ستنتهى بمذبحة .. أرجوك حاول أن تفكر ، حاول أن تعيد تقدير الحقائق » .

ماذا يفعل هيكل أمام هذه الوثائق فى أول كتاب له بلا مراجع[1].

كيف يمكن أن يدين مصر ويبرىء صدام ..

بسيطة ..

يقول : « ويبدو أن الرئيس مبارك لم يدرك إن إشارته لحفظ ماء الوجه ستغضب صدام مما يحبط دعوته » برضه احنا المحقوقين ! الحاوى الطروب مازال يلعب ولكن حيله كلها أصبحت قديمة !

وقد حاولت مصر تطويق صدام حسين بالجامعة العربية ومواجهته بقرار جماعى من الدول العربية يطالبه بالانسحاب الفورى لقطع خط الرجعة على مؤامرات التدخل الأجنبى ومضاعفاته .. وكان هذا القرار يعطيه الغطاء الذى يحتاجه لستر انسحابه ولكن المفاجأة كانت فى مجلس الجامعة ، إذ رفضت

(١) هذه الملاحظة منا سجلها محرر الصنداى تايمز بعدنا بشهر !

تسع دول فيه التصويت على الانسحاب وأقرت فعلياً احتلال بلد عربى لبلد آخر عضو فى الجامعة ! وهذا الموقف من الدول المنشقة هو الذى حطم الحل العربى وأغرى صدام بالبقاء وادعاء أنه يحتل الكويت باسم الأمة العربية أو على الأقل بتأييد نصف العرب ! ورفض العراق بإصرار وبعنجهية أى حديث فى موضوع الانسحاب . كأن تمزيق صورة الجامعة العربية أمام العالم وهلهلة موقفها ، هو الذى منع الحل العربى ، وقد نفذ العراق وأنصاره قبل الغزو خطة إلغاء الجامعة العربية أو على الأقل شلها تماماً ، والجامعة العربية هى المصنع الوحيد المهيأ والمصرح له بإنتاج الحل العربى ، ولذلك تعمد المخطط العراقى تحطيمها ، وقص أجنحة مصر والدول التى يعرف أنها ستعارض غزوه ! ثم لما وقع الغزو تسارعت الضربات لمنع القرار العربى : استقالة أمين الجامعة ، ورفض نقل المقر واحتجاز الملفات والاتهامات المالية ، إلى استقالة مندوبها فى واشنطن وظهوره كل يوم ثلاث مرات على التليفزيون الأمريكى معلناً انهيار الجامعة العربية وسقوط فعاليتها لكى يخفت أى صوت أوربى يحاول نقل القضية للجامعة . كيف كان يمكن تشكيل جيش عربى يمثل إجماع الأمة العربية كلها أو أغلبيتها ، بينما تسع دول عربية لا تريد حتى إدانة الغزو .. فهل كانت ستقاتله ؟! لقد قتل الحل العربى عمداً عندما رفض صدام أن يحل قضية مالية نفطية بواسطة الجامعة وفضل

الحل العسكرى المنفرد .

فى خطابه أمام البرلمان قال الرئيس مبارك : « كنا نحبذ أن يتم التوصل إلى حل للمشاكل المتصلة بالغزو العراقى فى إطار عربى . غير أن هذا الأمل تبدد بسبب غموض الموقف العراقى القائل أن ضم الكويت للعراق هو إجراء نهائى لا رجعة فيه ولا تنازل عنه ولا تفاوض بشأنه وهو ما قطع الطريق على جهود الوساطة العربية وجعل السعى لحل عربى أو إسلامى أو غيره أمراً غير ذى موضوع . وكان هذا هو موقف العراق النهائى الذى أبلغ إلينا وإلى الأقطار العربية الأخرى رسمياً بواسطة وفود عراقية عالية المستوى آخرها الوفد الذى مثل العراق فى مؤتمر القمة العربى الطارىء ، وكرر الوفد العراقى لى العبارات القاطعة وهى أن العراق ليس مستعداً لأى مراجعة فى هذا الاجراء وكان الكلام واضحاً وقاطعاً . وجاء هذا الموقف مخيباً لآمالنا ومناقضاً للرجاء الذى بعثت به لصدام . وزاد الطين بلة أن العراق صعد تهديده للأقطار الخليجية ، وفى نفس اليوم الذى انعقد فيه المؤتمر ، بشن هجوم إعلامى فظيع محموم على المملكة السعودية على نحو يماثل ما اتبع مع الكويت تماماً بلهجة يمتزج فيها التشهير بالتهديد . ولم يكن من الممكن والحالة هذه أن نتفادى سير الأمور على النحو الذى سارت فيه .. ولم نسم إلى الآن أن العراق لم يمنعه من الانسحاب سوى الإدانة العربية » . وقال

الرئيس : « إننا نتضرع لله أن يلهم القيادة العراقية الصواب » [١].

ولما وجه الملك الحسن آخر دعوة لإنقاذ الحل العربى وإنقاذ العراق بالدعوة لمؤتمر قمة رفضها العراق فوراً بجليطة وباتهامات تناولت الملك ونواياه وارتباطاته المزعومة ووصف المؤتمر بأنه سيكون غطاء للهجوم على العراق [٢].

من الذى منع الحل العربى وأبى إلا الحل الأمريكى لإفناء العراق كقوة عربية ؟!

وتصدت مصر لحملة التهويل فى قوة العراق والتى كانت تهدف من ناحية للتغرير بالعراق ومن ناحية أخرى لتبرير الضرب الوحشى الذى كان مبيتاً ضده ، والذى نفذ بإفراط لا مبرر له ولا غطاء إلا أسطورة الجيش الرابع أو السادس فى العالم (اختلفت الروايات !) وبينما كانت صحافة العالم كله بما فيها الصحافة المصرية التى مع والتى ضد تتحدث عن قوة صدام المهولة بدا صوت الرئيس مبارك نشازاً وهو يبدى دهشته من هذه المبالغة .. إذ قال : « إن وسائل الإعلام الغربية تبالغ فى وصف التهديد العراقى ، وتظهر العراق على أنه دولة عظمى من الناحية العسكرية وأنا لا أصدق كلمة من ذلك » . (تصريح للفيجارو

(١) الأهرام ٩٠/١٢/١٦ .
(٢) راديو بغداد ٩٠/١١/١٢ .

الفرنسية) ثم تبين أنه وحده كان الصادق ..

قطع الإرسال التليفزيونى المصرى يوم ٢١ أغسطس ليذيع الرئيس مبارك نداء للرئيس العراق ناشده فيه أن ينقذ الإنسان والكيان فى عالمنا العربى من حرب مدمرة تأكل الأخضر واليابس . ولا يعلم إلا الله كيف تكون النهاية المفزعة إذا بدأت . وقال إنه يناشد «الرئيس صدام حسين أن يتخذ القرار بانسحاب القوات العراقية من أرض الكويت لكى تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه .. إننى أتوجه إليك بهذا النداء فى هذه الساعات الفاصلة الحاسمة الصعبة وكلى ثقة أنك ستستجيب إليه » وفى يناير وقد بدأ العد العكسى لإبادة العراق وجه الرئيس تحذيراً جديداً من المواجهة الدامية التى هى غير متكافئة بكل المقاييس .. وأخشى أن تقترب من جحيم لا يرحم ومن أيام رهيبة ، إن كل ما يفعله العراق لن يمنع مصيراً تشيب فيه الرءوس وتتقوض المدائن وتتناثر أشلاء الضحايا فى بحور الدماء الفتاكة وأسمح لنفسى أن أكرر وبأعلى الصوت أن الموقف أخطر مما يمكن أن تتخيله أية توقعات[1] .

إننى أسأل ضمير كل عربى هل حدث فى التاريخ أن حذر رئيس دولة يقف جيشها فى مواجهة دولة أخرى بمثل هذا

(١) عن الشعب المصرية .

الإخلاص والصدق ؟! ثم يأتى هيكل ليضع دم العراق على رأس مصر أو رئيسها ..

كذبت وافتريت[1] ..

(١) (الأخبار ٩٢/٤/٥) .

التاريخ البلاستيك عند هيكل !!

كانت الأخبار أول من كشف تشويه الأستاذ هيكل لموقف مصر فى الطبعة الإنجليزية من كتابه عن حرب الخليج ، وهو الكتاب الذى لم تعلق عليه صحيفة واحدة فى أوربا أو أمريكا .. وقد التقط الخيط أكثر من معلق فى الصحافة المصرية . فلما صدرت الطبعة العربية لاحظت أن الأستاذ هيكل قد مارس فيها نفس الأسلوب الذى تعود عليه ، أعنى إعادة صياغة التاريخ ليناسب أذواق المستهلكين وليخدم تطور علاقاته ومواقفه ، وقبل سنوات عقدت مقارنة بين كتبه الثلاثة عن حرب ١٩٥٦ ثم بين النصوص التى أوردها فى الطبعة الإنجليزية « قطع ذيل الأسد » ثم بدلها ونقحها فى الطبعة العربية « ملفات السويس » وخصصت لذلك فصلًا كاملًا فى كتابى « ثورة يوليو الأمريكية » بعنوان التاريخ البلاستيك وهيكل . ويبدو أنه عاد لهذه العادة الذميمة فكتابه الأخير يختلف فى « حقائقه » بالإنجليزية عنه بالعربية ولا علاقة لذلك بالتاريخ أو الحقيقة بل هو أمر يتعلق بشرف المهنة وتعدد الأهداف ما بين إرضاء الملك حسين والتشهير بمصر فى الخارج ، ومنافقة السلطة أو تجنب غضب الجماهير فى الداخل . فجاء كما يقال يشتمنا فى زفة ويصالحنا فى عطفة . وسنقدم بعض النماذج على هذا التباين أو التزوير على سبيل المثال لا الحصر وسنرمز للطبعة العربية بالمصرية والإنجليزية

بالهاشمية باعتبارها موجهة للملك حسين ..

يقول : « كان الرئيس مبارك يتصرف فى الأزمة بحسابات عملية وواقعية .. كان حسابه فى النهاية أنه إذا جاءت الحرب فإنه لأكثر من سبب لا ينبغى أن يجد نفسه فى معسكر المنهزمين فهو بذلك يتحمل تبعات لا دخل له فيها ، وإذا كانت مسئولياته تطالبه بعمل لتفادى وقوع كارثة فهو على استعداد للقيام به . لكن هناك حداً لا ينبغى تجاوزه . وقد أعطت هذه السياسة لمصر فرصة أداء دور ظاهر على ساحة الأزمة فى مراحلها الأولى وبعد نهاية الأزمة فإن مصر أكدت مطالبتها بإسقاط ديونها العسكرية .. » ص ٤١ المصرية .

سلم بقك يا محمد .. عمر الضفر ما يطلع من اللحم ! خير مصر الذى فزت منه بحصة قطيع ذئاب بأكمله تمر فيك . ها هو رئيس مصر يتصرف بحسابات عملية وواقعية ، وهو لا يريد أن يكون فى معسكر المنهزمين لأنه لا يجوز أن يتحمل أخطاء الآخرين . وهو مستعد لأى عمل يمنع الأزمة .. ومصر هى التى أكدت مطالبتها بإسقاط الديون وذلك بعد نهاية الأزمة أو على الأقل كحق من حقوقها .. إلخ .

لكن يا خسارة ..

العرض مختلف تماماً فى الطبعة الإنجليزية فالرئيس ذو

الحسابات الواقعية والعملية فى تصرفاته نجده هناك لا يتمتع بهذه الصفات بل يدعيها أى والله يقول هيكل : « الرئيس مبارك بتاع مصر (Of Egypt) يحب دائماً أن يصف نفسه كواقعى . وقد ترك هذه الرغبة توجهه خلال أزمة الخليج » .. ص ٢٢ « وقرار الرئيس بوش إعفاء مصر من ديونها ساعد مبارك على إقناع جماهيره أن تورط مصر له ما يقابله » . ص ٢٢ من النسخة الهاشمية .

وهكذا تحولت الديون إلى رشوة اشترت بها الحكومة تأييد الشعب ! كما حذفت الفقرة الخاصة بالجهود لتفادى الأزمة لأنها تتناقض طبعاً مع محاولته إثبات أن مصر هى سبب الأزمة وهى التى أفسدت جهود الملك حسين .

فى النسخة المصرية : فى الأيام القليلة السابقة على الغزو « كانت هناك اختلافات فى الرؤى والتصورات بين ست عواصم .. وربما كان الرئيس مبارك واحداً من الذين يرون أن للعراق فى موضوع الحدود وجهة نظر لابد من سماعها ونفس الشيء عن بترول الرميلة كما أنه كان يرى أن انخفاض أسعار البترول يؤثر على مصر لكن الرئيس المصرى كان يختلف مع أسلوب الرئيس العراقى ولعله أيضاً لم يكن يشعر بالراحة مع شخصية صدام حسين .. وطموحاته لدور يراه الرئيس مبارك على حساب مصر » ص ٣٣٤ .

كل هذا اختصره فى الطبعة الهاشمية بجملة واحدة : « واستمر الرئيس مبارك يعتقد أو يفكر أن صدام يحاول فقط تهويش الكويت » ووصف ذلك بأنه تقدير خاطىء من القاهرة فى تحليلها للأزمة قبل انفجارها ص ١٨٣ .

فى طبعة المصريين كان الرئيس مبارك فور وقوع الأزمة يقرأ تقرير موقف أعده مستشاروه والأجهزة « وكان التقرير بعيد النظر إلى حد كبير ، ومنطقياً ومعقولًا » ص ٣٧٥ . وهى شهادة نعتز بها رغم صدورها ممن وضع تقدير موقف لحربى ٥٦ و ٦٧ .. ومع ذلك ماذا قال فى الطبعة الإنجليزية ؟ بالطبع مدح التقرير ولكنه أضاف الآتى بالحرف : « ولكن لم ينفذ إلا أجزاء من هذا التقرير » ص ٢٠٢ . واضح المقصود : المستشارون لم يقصروا .. إنما اقتراحاتهم لم تنفذ ؟!..

فى طبعة الخارج يشنع هيكل على الصحافة والصحفيين المصريين ويتهمهم بالضعف فى حديثهم مع الرئيس وهو الذى تربع على عرش الصحافة المصرية ١٧عاماً ،ومع ذلك لم يجرؤ على طلب إجراء حديث مع عبد الناصر منذ أن انفرد الأخير بالسلطة . وهو الرئيس الذى كان يتحدث لأى صحفى لبنانى ولو كان يعمل فى جريدة عكاز الجنة (اسم صحيفة كان مندوبها يعيش فى مصر على نفقة الدولة !) هيكل يشكك فى رواية

الرئيس مبارك من ضغط الصحفيين المصريين فيقول : « وكدليل آخر على أن البيان المصرى نشر قبل أن يتلفن الملك حسين للرئيس مبارك يقول الملك إن الرئيس اعتذر بأنه كان تحت ضغط .

فسأل الملك : ضغط من من ؟

فقال الرئيس : من الصحفيين المصريين ؟ .

وقد أحس الملك أن هذا التفسير غير مقنع لأن الصحفيين المصريين لم يعرف عنهم الضغط فى سؤالهم لرئيسهم .. كان مبارك مازال مأخوذاً **Overwhelmed** بتطورات الأزمة وقال : أنا عقلى مقفول .

فقال الملك حسين : إذن عندما تصل لقرار اتصل بى .

ويكمل هيكل: لقد تقابل الزعيمان واحد وخمسين مرة ولكن مع أول أزمة تبين أنهما لا يفهمان بعضهما .. ص ٢٠٩ إنجليزى .

فى النص العربى ، ومن باب التجمل حذفت الفقرة الخاصة بليونة الصحفيين المصريين فى مواجهة رئيسهم! لأن الهدف هو

(١) وهذه الطريقة فى إثبات الحوار كأنه شاهد ويسمع ! انتقدناها منذ سنوات وانتقدها أخيراً محرر الصنداى تايمس الذى وصفها بأنها مسلية ويكتبها هيكل بلا مراجع ولا أسانيد وإنما اعتماداً على أنه لابد أن يكون الأمر كذلك !

التشهير بالصحفيين فى الخارج وليس نقدهم فى الداخل . وفى الطبعة العربية ورد تحريفان إذ يبدو أن عداد الأستاذ هيكل مثل عداد التاكسى يعمل فى الانتظار ففى الفترة بين الطبعتين زادت مقابلات الزعيمين فأصبحت اثنتين وخمسين مرة ! مش مهم العدد فى الليمون . التحريف الثانى أن هذا التعليق حول مقابلاتهما وخلافهما نال ترقية فى طبعة العرب فأصبح تعليقاً من هيكل قاله للملك مباشرة ! إذ ورد هكذا : « قلت للملك : من الغريب أنك أنت والرئيس مبارك تقابلتما اثنتين وخمسين مرة .. وعند أول أزمة بينكما .. الخ » ص ٣٩٤ . هيكل الذى لم يجرؤ على ادعاء أنه قال ذلك للملك فى طبعة الانجليز ، تبجبح مع المصريين وجعلها كعادته : قلت له وقال لى ولو على استحياء فقد وضعها فى الهامش على سبيل التجربة فإن لم يعترض أحد فسترفع فى الطبعة القادمة إلى المتن .. وهو بلاشك كاذب فى إحدى الروايتين[١] .

واضطر هيكل للرد فكانت هذه المقالات الثلاث :

(١) الأخبار ٢٨ ابريل ٩٢ .

الأعمى .. والمقعد[1]

إن كنت صادقاً فى اعترافك فأوقف تداول كتابك :

اعتذر للقراء إذ يأتى ردى على حلقات ، لا لكسب مادى فكتاباتنا صدقة جارية ، ولكن لكى نرد كل ما قاله هيكل عنا ، وهو ما سنفعله بالتأكيد ، كان لابد أن نكتب على عدة مرات إذ لا يمكن أن تتاح لنا مرة واحدة المساحة التى أهدرت بإفراط للأستاذ هيكل ، كما أعتذر عن العنوان . فلم يخطر على بالى غيره للحديث عن الجريمة التى ارتكبت على مدى ٨ صفحات فى مجلة المصور ، والتى يتحمل مسئوليتها السائل والمسئول . إذ كان المفروض أن المحرر قد انتدب نفسه للتحقيق فى القضية التى أثرتها هنا فى الأخبار وهى قيام الأستاذ هيكل بإصدار كتاب باللغة الإنجليزية عن أزمة الخليج انحاز فيه لوجهة نظر الملك حسين وأساء عرض موقف الحكومة المصرية ، فحملها مسئولية فشل الحل العربى استجابة لمكالمة أو أمر من بوش فقدمت الغطاء الذى

(١) وللمتخصصين فى دراسة خصائص اللغات نشير إلى التغيير فى أسماء الفصول من الإنجليزية للعربة : « فرصة ضاعت » أصبحت « ضباب حول القمة » ، « خنجر من فى ظهر من » تحولت إلى « دبلوماسية الإشارات » .

تحركت تحته القوات الأمريكية للنزول فى الخليج وضرب العراق .. وقد استشهدنا بنص العبارات التى وردت فى النسخة الإنجليزية تحت عنوان : «البحث عن غطاء وهو العنوان الذى تأدب فى النسخة العربية فأصبح « القطار الأمريكى يتحرك » !

فى الطبعة الإنجليزية مصر والجامعة العربية غطاء للأمريكان وفى الطبعة العربية والت ديزنى وقطار المفاجآت .

واتهمنا المذكور بنشر الكتاب باللغة العربية بعد أن أدخل عليه تعديلات تجعله مضللًا للقارىء العربى فبينما يدور الكتاب الأول على تشويه موقف مصر واتهامها حكومة وصحافة ، إذا به فى العربية يحذف معظم انتقاداته ويبدل العبارات لارضاء السلطة والجمهور فى مصر . وقلنا إنه بذلك لا احتفظ بشرف المواطنة ولا شرف المهنة . وقدمنا ثبتاً بما يقرب من عشرين موضعاً بالنص والصفحة أجرى فيهم المؤلف تعديلًا فى العبارات بما يخدم هذا الهدف وهو مجاملة السلطة بالعربية والتشهير بها بالإنجليزية . وكان المفروض إما أن يراجع القعيد ــ الذى تصدى للفحص عن أمر دمنة ــ ما ذكرناه فيثبت تجنينا وبالتالى يرفض الدعوى من أساسها وينشر حيثيات ذلك على قرائه ، أو أن يجدها صحيحة فيحملها إلى المؤلف يطالبه بتفسير ، ولكنه اكتفى بثناء على المتهم وإعلان أن كتابه هو عصا موسى وتهرب بغير براعة ولا أمانة من أن يعرفنا أى نسخة قرأ ؟! مع أن الخلاف بين النسختين

هو إحدى القضيتين .. بل اكتفى بقوله إنه قرأ « الكتاب » خير الكتب ! من هنا نحن نرده ونتهمه بخيانة الأمانة بل العجز حتى عن فهم موضوع القضية ، ذلك أنه مدح الأستاذ وسمح بإهدار الصفحات فى استطلاع حكمته السياسية . وما من أحد يصنف هيكل مفكراً سياسياً ، كل قيمته أنه وغيره يتاجرون فى أوراق عبد الناصر بموجب مفهوم العزبة الذى جعل أوراق مصر فى خزينة هيكل وقد عرفنا مدى أمانته ، ولا نعرف كيف تقبل دولة أن يوضع تاريخها ووثائقها فى عهدة صحفى له خصوماته ومواقفه وضبطناه يحرف الوقائع من طبعة إلى طبعة لنفس الكتاب ! ولسنا نتجنى على الأستاذ عندما نقول إنه عاطل من موهبة التفكير السياسى وإليكم الدليل من اعترافه ..

فمحور كتابه ومحور الخلاف بيننا وبينه وبين كل الذين تظاهروا بتأييد العراق هو إمكانية الحل العربى .. هل كان من الممكن بعد احتلال الكويت ورفض صدام الانسحاب الفورى ، طرح حل عربى يسوى الخلاف ويمنع الأمريكان من تنفيذ مخططهم ؟ هو والملك حسين ومن لف لفهما قالوا لا للانسحاب ودعوا للحل العربى وقالوا إنه كان ممكناً . وإن مصر تزعمت نصف الجامعة لوأد هذا الحل الذى كان ممكناً وأضاعوه .. وقد عرض ذلك فى الطبعة الإنجليزية تحت عنوان : « الفرصة الضائعة » وهو العنوان الذى تحول فى الطبعة العربية

الملطفة إلى « ساعات فاصلة » ! فى الطبعة الإنجليزية بعد أن استعرض موقف الوفد المصرى فى مؤتمر القمة قال متحسراً : « وهكذا فى أقل من ساعتين صنع أعمق انقسام عرفه العالم العربى وضاع آخر أمل فى حل عربى » ص ٢٣٤ . (وهذا التعليق حذف فى الطبعة العربية) وكانت وجهة نظرنا أن الدعوة للحل العربى غير الممكن لم تكن تهدف إلا لإضاعة الوقت حتى تكمل أمريكا استعدادها وتعصف بالعراق والمنطقة .

وبعد عامين يأتى الأستاذ هيكل فيعلن اعترافاً خطيراً : « أخطأت طوال الوقت الذى كنت أقول فيه أن هناك حلًا عربياً » المصور ٩٢/٥/٨ كيف تقبل إذن أن يبقى كتابك فى السوق يحمل هذا الاتهام بإفشال أو إضاعة آخر أمل فى الحل العربى وتسمح بترجمته لليابانية والكورية والسنسكريتية ، بعد أن اكتشفت أنك كنت مخطئاً طوال الوقت !

هل هناك اعتراف أقبح من هذا بالجهل والعجز من كاتب سياسى ، يعترف أنه تبنى موقفاً كاملًا من حرب مصيرية وألف كتاباً بعدة لغات تنشره أكبر دار نشر فى العالم[1] — بزعمه — بناء على تصور خاطىء وجهل بالوضع ؟ ثم يأتى مطيباتى فيستفتيه فى حل مشاكل النظام العالمى . وهو الذى يعترف أنه عجز عن

---

(١) سألنا دار **Harper Collins** فنفت أن تكون أكبر دار نشر فى العالم !

أن يرى أو يفهم الواقع العربى وفى أخطر أزماته فضلل قراءه .. يأتى الصحفى فيقول إن هذا الكتاب الخطأ هو عصا موسى الذى لقفت ما كتبناه !! أنت بحاجة لعصا خيزران تعلمك القراءة .

لا أحد يطالب هيكل باكتشاف الصواب فهذا فوق طاقته وقدراته مع أن الصواب كان مطروحاً ومتاحاً له لو صدق النية فى التعلم . ولكنه مطالب مادام عرف الخطأ ولو متأخراً ألا يستمر فى مدح الملك حسين الذى ، تمكيناً لمخطط الأمريكان ، أضاع الوقت فى ادعاء : « أن أول المبادئ هو اعطاء الوسيط العربى الفرصة ليجرى الحوار مع الطرفين المتنازعين ويمهد لهما سبيل الجلوس معاً .. الخ » (ارجع لنقدنا بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٩٠) وقد عارضنا هذه المناورات فى كل ما كتبنا وأستشهد هنا بنصين فى أول الأزمة وآخرها ففى مقالى بجريدة الوفد فى أكتوبر ١٩٩٠ سخرت من الذين يتعلقون بوهم الحل العربى وقلت بالحرف : « وهيكل مثل كل الذين يتعمدون عرقلة حل المشكلة وإطالة الأزمة لزيادة فرصة التدخل الأجنبى كلهم يتغنون بالحل العربى فهو الأنظف « والأكثر ملاءمة للنفسية العربية » وكأنه اكتشف البارود أو كأن الإنسان العربى فى محنته هذه يقف فى سوبر ماركت الحلول فينصرف عن الحل العربى ويفضل الحل المستورد » هذا ما كتبناه قبل عامين ثم عدنا إلى شرحه وتفصيله فى كتابنا « الجنازة حارة » الذى صدر قبل كتاب

هيكل بستة شهور فقلنا أن الحل العربى أو الوساطة ، كان ممتنعاً لأن الذين خططوا للكارثة ضمنوا مقدماً استحالة ذلك ، قلنا بالحرف : « وقد حاولت مصر تطويق صدام حسين بالجامعة العربية ومواجهته بقرار جماعى من الدول العربية يطالبه بالانسحاب الفورى لقطع خط الرجعة على مؤامرات التدخل الأجنبى ومضاعفاته .. ولكن المفاجأة كانت فى مجلس الجامعة ، إذ رفضت تسع دول فيه التصويت على الانسحاب وأقرت فعلياً احتلال بلد عربى لبلد آخر عضو فى الجامعة بل وتربطه علاقات طيبة بكل الدول التسع ! .. إن منع الحل العربى وفرض الحل الدولى (الأمريكى) كان يتطلب تمزيق صورة الجامعة العربية أمام العالم وهلهلة موقفها ، ابتداء من استقالة أمينها العام ورفض نقل المقر واحتجاز الملفات والاتهامات المالية ، إلى استقالة مندوبها فى واشنطن وظهوره كل يوم ثلاث مرات على التليفزيون الأمريكى معلناً انهيار الجامعة العربية وسقوط فعاليتها لكى يخفت أى صوت أوربى يحاول نقل القضية للجامعة » . حرفياً من كتابنا ص ٣٩٢ .

ونحن لا ندعى العبقرية ولا امتلاك ما لا يتاح لأحد من الوثائق بل إنه الضمير النقى الذى يتفهم الواقع كما هو ، دون ارتباط مسبق يعمى الرؤية ، وقديماً قالوا آفة الرأى الهوى . وقد فهمنا الملعوب فور بيان بوش وقلنا أن الأمريكان يصممون على

الحرب وأن الموقف الشريف الوحيد لكل عربى لكى يمنع ذلك هو إجبار العراق على الانسحاب فوراً بدون قيد ولا شرط .

وظل هيكل ومليكه يتحنجلان بادعاء البحث عن تسوية حتى حققا أهداف أمريكا ! ثم يأتى بعد خراب مالطا فيعترف بأنه أخطأ !! إن كنت صادق التوبة .. اسحب كتابك من السوق فلا يجوز أن تغرر باليابانيين الغلابة !

ولدينا المزيد[1] .

(١) الأخبار ٩٢/٥/١٧ .

الأعمى .. والمقعد
تهرباً من الرد على اتهاماتنا !

رأينا كيف اعترف هيكل بأن موقفه وكل ما كتب عن حرب الخليج كان مبنياً على خطأ ، فقد عرف أخيراً ما ظللنا نردده ما يقرب من عامين فقال : « أخطأت طوال الوقت الذى كنت أقول فيه أن هناك حلًا عربياً » المصور ٩٢/٥/٨ وطالبناه بأن يكون أميناً مع جمهوره فيسحب الكتاب الخطأ ، ولكنه لم يفعل ولن يفعل . وكنا قد قدمنا فى نقدنا لكتاب هيكل ما يقرب من عشرين تزويراً أو تحويراً بين الطبعتين العربية والإنجليزية وقفز هو والمحقق معه فوقها فلم يتعرضا لها بحرف ولو كان فيها شك لأقاما مناحة كما فعلا فى واحدة ظن الأستاذ أنه يمكنه تزوير حقائقها وسنقدم فيها ما يخزيه .. واليوم نستعرض بعض ما عجز عن مجرد التعليق عليه على سبيل المثال وليس الحصر ومع الاختصار فلسنا نملك ٨ صفحات مثله !

١ ـــ فى الطبعة العربية كان الرئيس مبارك يتصرف فى الأزمة بحسابات عملية وواقعية .

فى الطبعة الإنجليزية : « الرئيس مبارك بتاع مصر (Of Egypt) يحب دائماً أن يصف نفسه كواقعى . وقد ترك هذه الرغبة توجهه خلال أزمة الخليج » ..

هل هذا خلاف فى الترجمة ؟ هل يوجد كمبيوتر يحول المسئول من : يتصرف بواقعية وحسابات عملية فإذا ترجم للإنجليزية أصبح : هو يحب أن يصف نفسه بذلك ؟! ..

ترك سيادته والمتلقى هذا التزوير ، فلم ينبسا بحرف فى تفسيره ، وهب يتشبث بترجمة الرئيس مبارك Of Egypt وراح يردد : ودى فيها حاجة دى . وزعم أنهم يقولون : كوين أليزابث أوف بريتين ! وهو غير صحيح فهم إما أن يقولوا ملكة بريطانيا أو الملكة أليزابث . وإنما Of هذه يقصد بها التعرف للتجهيل .

والدليل أنك ذكرت عبد الناصر فى الكتاب ١٣ مرة لم تجد نفسك بحاجة إلى أن تقول Of Egypt أو بتاع مصر ولا أوف بنى مر . هل كان عبد الناصر فى حرب الخليج أشهر من مبارك ؟!

وفى صفحة ٩١ تتحدث عن ثلاثة : صدام وحسينك ومباركنا فتقول الآتى : « عندما فاتح الملك حسين صدام حسين .. ثم لما فاتح الرجلان مبارك أوف إيجيبت بتاع مصر ! » هل رئيسنا فقط هو الذى يحتاج لفيش وتشبيه !

عيب يا محمد ما تلعبشى مع الكبار ولا حتى معايا .. كاتب يلعب على باشكاتب ! على أية حال : ما قولك من هذا بضائره !

٢ ـــ فى العربية يصف تقدير الموقف الذى أعده المستشارون للرئيس بأنه « وكان التقرير بعيد النظر إلى حد كبير ، ومنطقياً ومعقولاً » . ص ٣٧٥ .

ورغم أن الطبعة الإنجليزية أقل مائة ألف كلمة عن العربية فقد اتسعت لإضافة عبارة تقول : « ولكن لم ينفذ إلا أجزاء من هذا التقرير » ص ٢٠٢ .

لماذا جاءت حرية التصرف بما يسىء فى لندن ولا يغضب فى القاهرة ..

لا سألوه ولا هو رد ..

٣ ـــ ولكن إذا كانت الإضافة هنا للإساءة فهناك أيضاً الاختصار .. فى العربى كان خطاب الرئيس « خطاباً درامياً ومؤثراً » ص ٤١٦ .

وفى الطبعة الإنجليزية حذف « مؤثراً » لأنه أريد بها تأثير فى مصر فقط . ص ٢٢١ .

ومرة أخرى لا رد .

٤ ــ فى الإنجليزى عن اقتراح عرفات بإرسال وفد لصدام « وبدا هذا الاقتراح يكسب تأييداً ولكن الرئيس مبارك أخذ يبدى نفاد صبره من الفكرة » ص ٢٣٢ .

فى الطبعة العربى يقول : « ولكن هذا الاقتراح لم يلق حماسة تذكر أثناء المشاورات التى سبقت الجلسة الرسمية » ص ٤٣٥ .

هناك عند الأجانب كان اقتراح عرفات يكسب تأييداً لولا موقف ونفاد صبر مبارك !

وهنا للمصريين : سقط الاقتراح من قبل الوفود فلم يلق حماسة تذكر بل يزيد بأن الرئيس مبارك تبنى الاقتراح فعلياً إذ راح يعرض على الرؤساء من يتولى الذهاب !! لقد علقنا على ذلك بقولنا : « لا يوجد امتهان أكبر من ذلك لشرف الكلمة وثقة القارىء » .

وقد أخطأنا فالامتهان الأبشع أن محاوره لا سأله فى هذه الفضيحة والتزوير فى الوقائع ولا صاحب عصا موسى وجد أنه مطالب بالرد على هذا ومضيا يتحاوران دون أن يطرف لأحدهما ضمير !!

هل هذا من فعل الترجمة وخصائص اللغات ؟!

٥ ــ فى الإنجليزى انسحب الوفد العراقى بإحساس أن مبارك قد نصب لهم فخاً ص ٤٣٦ .

وفى العربى بنيت للمجهول : « أُعتبر الوفد أنه وقع فى فخ قد نصب له » .

٦ ــ ونفس التزوير أو التجهيل فعله فى نقطة أخطر ففى الإنجليزية قال إن حامى العروبة حبيبه الجديد الملك حسين (عزمك على الفرح ولا نسيك يا محمد ؟!) كان مع الرئيس بوش يحاول جهده أن يثنيه عن ضرب العراق « عندما جاءت مكالمة تليفونية من مبارك لبوش بعد أن أنهى المكالمة قال لحسين ، هذا واحد من زملائك يخشى أن أستخدم القوة بسرعة وإلا سينفجر الشارع العربى » . ص ٢٥٢ .

ماذا حدث فى هذا النص فى الطبعة العربية ؟

ورد كالآتى : وقد روى الملك حسين فيما بعد أن الرئيس بوش تلقى أثناء لقائه معه مكالمة تليفونية وأن الرئيس الأمريكى قال له بعد انتهاء المكالمة : « هذا أحد زملائك يخشى على سرعة العمل بالقوة قبل أن تؤثر الدعاية العربية على الشارع العربى » . ص ٤٥٧ .

نترك لغيرنا ملاحظة التعديلات فى الصياغة (تحول الانفجار فى لندن إلى دعاية فى مصر ربما استجابة لقانون الطوارىء !) ونتوقف عند أهم نقطة وهى أن اسم الرئيس لم يرد فى العربى ، مع أن الإنجليز واليابانيين يعرفون هذا لو كان حقيقة ، والمصريون أحق بالمعرفة ، وخاصة أن طبعتهم موسعة ولكنها ضاقت عن أهم ما فى القصة : من هو زميل الملك حسين الذى حث بوش على الضرب ؟ يكون مضر بدران .. يكون إسحاق شامير ؟ ماهم كلهم زملا يا محمد !

يتنطط ويقول أنا غير مطالب أن أضع فى الطبعة العربية ما قلته تحية للعزيز بهاء !

آه يا نورى يا بتاع التلت ورقات .. هل عاتبناك على بهاء ؟ أم على حذف اسم الرئيس مرتين ..

ولماذا ..

خوفاً من الرقابة أن تصادر الكتاب ؟ ذلك عهد قد غبر .. لا أعاده الله !!

خوفاً من الحبس والتحويل لمؤسسة باتا كما فعلتم بكتاب مصر ؟ الحمد لله أنت تعرف جيداً أن مبارك لا يسجن كاتباً ولا يأبه بما تكتب ولكنك تعلم أنك لو نشرت ذلك فى مصر لأحرقك الناس فوق كتابك ولذلك زورت وحرفت .

وتزعم أننا نريد الوقيعة بينك وبين الرئيس .. من أنت أصلحك الله ؟! حتى يوقع بينك وبين الرؤساء ولماذا وبأى هدف .. ما الذى عندك نطمع فيه ؟! ما المنصب أو المكانة التى تشغلها ونرجو أن يخلعك منها الرئيس .. تنافسك مع مناف على رئاسة تحرير صحيفة داود الذى حبسته ! المولد خلص يا محمد !

٧ ــ فى الإنجليزية مبارك يستعجل الضرب قبل أن ينفجر الشارع المعارض « وقرار الرئيس بوش إعفاء مصر من ديونها ساعد مبارك على إقناع جماهيره أن تورط مصر له ما يقابله » . ص ٢٢ .

بينما فى الطبعة العربية تجده يضيف هامشاً يقول فيه : « كان الرأى العام فى مصر هائجاً بالفعل ، وكان هناك إلحاح بضرورة أن تظهر مصر موقفها باستنكار غزو الكويت بطريقة واضحة » . ص ٣٩٤ . وقد خففت لأقصى حد فى الطبعة الإنجليزية : « والرأى العام المصرى ، على أية حال كان ضد الغزو بوضوح » ٢٠٩ . الهيجان فى طبعة مصر علشان الحر !

٨ ــ ثم حكاية سب الصحفيين المصريين فيقول : « وكدليل آخر على أن البيان المصرى نشر قبل أن يتلفن الملك حسين للرئيس مبارك يقول الملك أن الرئيس اعتذر بأنه كان تحت ضغط

فسأله الملك : ضغط من من ؟ فقال الرئيس : من الصحفيين المصريين . وقد أحس الملك أن هذا التفسير غير مقنع لأن الصحفيين المصريين لم يعزف عنهم الضغط فى سؤالهم لرئيسهم .. إلخ » ٢٠٩ . انجليزى .

فى النص العربى حذفت الفقرة الخاصة بليونة الصحفيين المصريين فى مواجهة رئيسهم !

ألم تكن هذه تستحق سؤالًا أو تفسيراً ؟!

٩ — فى نسخة الإنجليز ورد أن « الملك حسين شخصياً حصل على نسخة من مشروع القرار وأيقن جلالته أن هذا النص لا يمكن أن يكون قد حرر فى الأصل بالعربية » ص ٢٢٨ .

وفى النسخة العربية كان الذى اكتشف ذلك هو « أحد كبار مستشارى الملك حسين » ص ٤٢٩ .

وقد سمعنا عن أجهزة نسخ تصغر الصورة لكن لم نسمع عن جهاز ترجمة يصغر الملك ويجعله مستشاراً ! هل هذا من نتائج ثورة الاتصالات والمواصلات ، أو هل من خصائص اللغات أن يكون ملكاً « بالعنجليزى » ومستشاراً باللغة العربية ؟!

ومرة أخرى لا سألوه ولا هو رد .

١٠ — فى النص العربى يرفض ويفند الزعم بأن مؤتمر القمة كان جزءاً من خطة لفتح الطريق أمام الولايات المتحدة . ص ٤٣٧ .

وفى الطبعة الإنجليزية أورد المؤتمر وقراراته تحت عنوان : « البحث عن غطاء » للتحرك الأمريكى بالطبع وأن الموقف المصرى صدر بناء على طلب من بوش لمبارك وهذا نص عباراته : « ولكن بوش كان قد تلفن لمبارك ويبدو أن إصرار الزعيم الأمريكى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم » ص ٢١٠ .

وانتظر المزيد [1].

---

(١) الأخبار ٩٢/٥/١٨ .

الأعمى .. والمقعد

ماذا قال هيكل وماذا زور عن عبور إيزنهاور ؟

أوضحنا كيف تآمر المؤلف والصحفى على تجنب كل ما عرضناه من أدلة تشويه موقف مصر بالخارج والدفاع عن الملك حسين كما غضا الطرف كأنهما من نمير على أكثر من عشرين موضعاً قام فيها هيكل بتحريف الكلام وتغيير الوقائع لكى تقبل النسخة العربية فى مصر ..

واليوم نصل إلى « حيلة الشب يارب » أو النص الذى ادعى أنه ضبطنا به ودبج فيه صفحة كاملة ، وقد ذهلت لا من بجاحته ، بل لأننى أصبحت أشك أن يكون هو فعلًا قد ألف الكتابين ..

فى تلخيصنا للصورة التى طرح بها هيكل دور مصر التخريبى فى منع الحل السلمى ودفع العراق إلى وضع لا خيار فيه قلنا الآتى :

بالنسبة للملك حسين .. أثنى على الرجل ونقل اتهاماته لحكومتنا ورئيسنا بدون تعليق بل كحقائق مسلم بها .

أما بالنسبة لحكومتنا .. فالأستاذ هيكل يقدم صورة أخرى فهو يكرر أن الرئيس فى الساعات الأولى للأزمة كان يقول : « أنا حاسس إن مخى مقفول » .

وأن صدام كان قد اقتنع بضرورة الانسحاب وكان المطلوب صيغة تغطى الانسحاب وهذا ما تكفل به الشهم حسين بن طلال فاتفق مع مبارك على أن يذهب لبغداد وينتظر الرئيس مكالمة من الملك قبل اتخاذ أى موقف .. ولكن الملك يفاجأ وهو فى عنفوان مساعيه الحميدة ببيان رسمى مصرى يدين الغزو العراقى وانزعج الملك من خرق الاتفاق .. الخ وتفسير التحول فى موقف مصر .. يقول هيكل :

« ولكن بوش كان قد تلفن لمبارك ويبدو أن إصرار الزعيم الأمريكى على إعلان العرب المعتدلين لموقفهم كان أكبر من أن يقاوم » ص ٢١٠ .

« أن السماح للبارجة إيزنهاور بعبور قناة السويس جعل العراق يرجع عن فكرة الانسحاب » ص ٢٢٤ . (عن مقالنا فى الأخبار ٣/٣٠ باختصار) .

بدأ الأستاذ الهلولة بقوله : « والأعجب أنه حدد هذه الصفحة بأنها ٢٢٤ » .

وأنا رجل شكاك وهذا كاتب كبير ولو فى السن ويتحدث لمن يزعم أنه قرأ الكتاب وآمن به ، فقلت لعلي أخطأت فى رقم الصفحة وهرعت للنص الذى ترجمه اقرأ رقم الصفحة يمين وشمال فإذا بها مائتان وأربعة وعشرون أو فى رواية أربعة وعشرون وازدادوا مائتين !

فقلت رجع لعوايده وادى أول تهويشة .. طب آدى الأعجب طلعت فشنك فماذا عن العجب ؟!

ولأن الترجمة التى قدمها هيكل فى المصور بها بعض التحريفات أو الأخطاء ففى الأصل الإنجليزى يقول : « إن القيادة العليا توصلت إلى أن هجوماً أمريكياً على الكويت محتوماً .. » ص ٢٢٤ . (برضه) فلما ترجمها أصبحت : القيادة العراقية للحزب (هو فى قيادة روسية ؟ الجدع لخبط) وأصبحت النتيجة التى وصلت إليها هى « الأمريكان سوف يهاجمون العراقيين من الكويت » وليست الهجوم على الكويت .

وجدت ترجمته ملخبطة خالص قلت وليه التعب .. الرجل سهل علينا الأمر وقال فى نهاية الفقرة بالحرف : « إن هذا الكلام موجود فى الطبعة العربية من الكتاب » ..

هرعت للطبعة العربية أقلبها صفحة صفحة وأهزها يمكن يقع منها هذا الكلام فلم أجد وقبل أن أقسم أن هذا الكلام لم يرد فى الطبعة العربية ، أعرض مكافأة ألف جنيه لمن يجد فى العربية السطور المنشورة فى عدد المصور العمود الثالث صفحة ٢٠ أو النص المختلف عليه من الطبعة الهاشمية ص ٢٢٤ (أعمل إيه الصفحة نمرتها كده إلا إذا كانت ٢٢٤ معدل) ولو أخبرنى باسم صديقه لصورت له الكتاب كله يمكن يكسب الجائزة .

لم يبق أمامى إلا أن أعيد ترجمة النص وترجمتى أدق طبعاً ومستعد للتقاضى :

قال فى صفحة ٢٢٤ (وحياتك لو كنت أقدر أغير النمرة لغيرتهالك) : « بعد أن أعلنت بغداد عن نيتها فى الانسحاب ونشرت صوراً يفترض أنها تظهر مغادرة لواء ، شرعت فى تشكيل « حكومة ثورية » (لاحظ الأقواس ومعناها إنه يعترض أو يلفت الانتباه أم نتصور أن العراقيين يسخرون من الحكومة التى شكلوها ؟) . أعلنت يوم ٨ أغسطس يرأسها ضابط جيش هو الكولونيل علاء الذى سمى رئيساً للوزراء .. وقالت بغداد أن هذه الخطوات تظهر نيتها الجادة فى الانسحاب الكامل ، ولكنها لم تستطع المضى وفقاً لما كان مخططاً بسبب ما تلا ذلك من حوادث » . (نقطة) ثم قال : « عندما سمع صدام حسين بقرار

القاهرة بالسماح للسفينة إيزنهاور بالعبور فى قناة السويس دعا إلى اجتماع للقيادة العليا التى وصلت إلى نتيجة مؤداها أن هجوماً أمريكياً على الكويت بات محتوماً . (نقطة) العراقيون أحسوا أنهم لا يمكنهم أن ينسحبوا تاركين الحكومة التى شكلوها لتوهم فى وضع غير محتمل ولذلك فإن عليهم أن يبقوا ويواجهوا الأمريكان . وهذا التفكير كان إلى حد كبير خداعا للنفس فلم يكن هناك أحد خارج العراق مستعداً لتصديق ذلك » ص ٢٢٤ .

فضلًا عن الخطأ فى الترجمة الذى أشرنا إليه والذى يشكك فى ادعائه تأليف الكتابين ، فقد حرص على أن يضيف لطبعة المصور ما يدعم دعواه فأضاف عبارة « وما زلت أعرض وجهة نظر العراق كما أعلنتها فى ذلك الوقت » .

لم يفعل ذلك فى الطبعة الإنجليزية ولا العربية كما سنرى وقد أحس متأخراً جداً أن التنصل لا يستقيم إلا إذا وضع هذا التنبيه . لأنه بدأ جملة جديدة تقول إن الرئيس صدام .. إلخ . وقد اضطر فى المصور إلى إضافة « وأن » لكى ينسبها إلى ما قبلها فقال : « وأن الرئيس » .. ونفس الإضافة فعلها مع جملة : « أحس العراقيون » فجعلها فى المصور : « ولقد أحس العراقيون » ولا يعقل أن يكون هذا على لسان العراقيين فهل يقول : وقال العراقيون لقد أحس العراقيون ! ما تجيش ..

هو هنا يعرض بأمانة وجهة نظر العراقيين ويعدد أسباب رفضهم الانسحاب ، ومنها سماح القاهرة بمرور السفينة الذى أقنعهم بنية أمريكا فى الحرب فقرروا البقاء للدفاع عن الكويت وحكومتهم العميلة أو الثورية فى الكويت .

أين الخطأ ؟!

أين التزوير عليه ؟

أليس كتابه كله هو عرض الأزمة من وجهة نظر الجبهة العراقية .. لماذا لم يستنكر ما نقلناه عن لسانه عن أسباب كسر قلب الملك حسين ؟!

ودفاعه هو هذه الجملة التى يدعى أنها ترفض وتستنكر العرض العراقى للتطورات .. بأن قال إنه خداع للنفس وأن أحداً خارج العراق لم يكن يصدق ذلك .. ونحن نسأله : أين خداع النفس ؟ وما هو الذى تقصده بأن أحداً خارج العراق لم يصدقه ؟

إن السفينة مرت فى القناة ؟

أم أن مرورها يعنى نية أمريكا فى الحرب ؟

هذه حقائق صدقها كل الذين خارج العراق أكثر مما صدقها العراقيون .. ولا يمكن أن يكون تعليقك على هذا الجزء ، وإنما خداع النفس بما لا يصدقه الناس الذى كنت تعنيه قبل أن

يحرجك صديقك بسؤاله ، وكنت تظن أن أحداً لن يقرأ ولا جلال كشك سيترجم لهم خداع النفس الذى قصدته ، هو ادعاء العراقيين أن هناك حكومة كويتية ثورية وأن الهدف من الوجود العراقى هو الدفاع عنها . هذا هو ما قلته وما قصدته وما قبلناه منك . فكيف تدعى الآن أنك تقصد عبور السفينة ؟

ولماذا الجدل وقد استنكرت العبور وعرضته أسوأ عرض ولإحساسك بالذنب بدلته وغيرته فى العربى كما سنرى :

فى الفقرة التى تعرضت فيها لتأثير العبور على العراقيين وحيثيات فشل مؤتمر القمة قلت بالعربى الآتى :

« والحقيقة أن الوفد العراقى جاء إلى القاهرة يحمل شكوكاً كبيرة فقد كان سفر « تشينى » إلى جدة ومعه الجنرال شوارتزكويف كافياً لإضاءة أنوار الخطر الحمراء فى بغداد . وعندما أعلن أن حاملة الطائرات النووية « دوايت إيزنهاور » على وشك أن تعبر قناة السويس ، كان ذلك كافياً ليجعل أجراس الإنذار تدق » ص ٤١٩ عربى .

هل هذا كلامك أم كلام العراق ؟!

وهو منسجم ومتطابق مع عرضك الذى قدمته للغرب .. أن مصر والسعودية بمسايرتهما الاجراءات العسكرية الأمريكية نسفا الحل العربى وسدا الطريق على العراق . هل يعقل أن تواتى

الجرأة من كتب هذا الكلام بالعربى ليقف مهللاً ويدعى أننا نسبنا إليه ما لم يقله عن أثر عبور السفينة فى العراق . إذا كان العبور دق أجراس الإنذار فى سمعك فماذا فعل بصدام ؟! هذا عرضك للحدث وتصورك .. وتعليقك فكيف تتهرب منه الآن .. وبهذه البجاحة ؟!

وما دمت فتحت السيرة نسقيك أكثر ..

كتب هيكل فى الطبعة الإنجليزية يعرض ويشهر بقرار السماح بالعبور فقال فى صفحة ٢١٩ (حد يراجع رقم الصفحة) :

« فى طريق عودته إلى وشنطن وقف تشينى (وزير الدفاع الأمريكى — ج) فى الاسكندرية وعقدا اجتماعاً يوم ٧ أغسطس مع الرئيس مبارك وخلال مباحثاتهما وافق الرئيس المصرى على السماح لحاملة الطائرات الأمريكية إيزنهاور بالمرور عبر قناة السويس . وكان ذلك تخلياً عن سياسة مصر بمنع المراكب التى تحمل أسلحة نووية أو مزودة بطاقة نووية من قناة السويس . وحتى ذلك الوقت كانت هذه السياسة تفرض بحزم رغم العلاقات الوثيقة بين القاهرة وواشنطن . وفى وقت متأخر من نفس اليوم وخلال مكالمة مع بوش وافق الرئيس مبارك على إرسال قوات للسعودية » ..

وأصبح قلب أبى عبد الله خاوياً ــ لا دى من عندنا ــ ما قاله هيكل هو : « وسقط قلب الملك حسين (Ding Hussein.s Heart Sank) سمع بقرارات الملك فهد (قبول القوات ج) والرئيس مبارك (مرور السفينة وإرسال قوات ج) والملك الحسن (إرسال قوات مغربية ج) . شعر أن هناك اندفاعاً لخلق ظروف تعطى الشرعية للتدخل الأمريكى » ص ٢١٩ .

أليس هذا كلامك حرفياً ؟!

وإذا كان قلب الملك حسين وقع فماذا حدث لصدام ولماذا لم ترد هنا أو تفند بل علقت وأكدت أن مبارك تخلى عن سياسة مصر الثابتة ووافق على مرور السفينة النووية .. لخلق الشرعية للتدخل الأمريكى !

وهى مناسبة لنقدم دليلًا جديداً على تزويره الطبعة العربية فهذه الرواية عدلت فى اللغة العربية فلم ترد بها طبعاً حكاية التخلى عن السياسة المصرية الثابتة الخ .. بل جاء أن السفير الأمريكى طلب من وزير الدفاع تشينى التوسط عند الرئيس لكى تمر وقال السفير الأمريكى : « إنه يعرف أن هذه مسألة حساسة عند المصريين لأنهم يمانعون عادة فى مرور سفن نووية .... وأصدر الرئيس مبارك أمره بالموافقة » .

وقد استخدم الأستاذ كل خفة اليد والبراعة فى تخفيف قرار

العبور فجاء بتحفة خالدة فى أدب الإنشاء فى مخاطبة الملك والرؤساء ! ففى نسخة الملك حسين كان ذلك تخلياً عن سياسة مصر بمنع **Banning** .. وحتى ذلك الوقت كانت هذه السياسة تفرض بحزم **Firmly Enforced** .. فإذا بها تتحول : « **المصريون يمانعون عادة** » ..

عادة هذه تساوى نصف مرتب الملك حسين من المخابرات الأمريكية لأنها لا تجعلها سياسة ثابتة التزم بها بحزم ومن ثم فهذه الموافقة تشكل خروجاً عنها بل هم عادة ! والعادة كما هو معروف قد تنقطع ولذلك يدعو الناس : ربنا ما يقطع لك عادة ! ولكن الدنيا كلها لا تساوى حرف الألف الذى أضيف إلى يمنعون فأصبحت يمانعون .. يتمنعن وهن الراغبات « يمانعون عادة » .. يا مُلعب ؟! الأستاذ يعرض أعلى مواهبه ولكن لا أحد يريد استخدامها ..

وقضية الموافقة فى نفس اليوم وخلال مكالمة تليفونية من بوش جرى تنقيحها فأضيف إليها بالعربية أن الرئيس رفض ذلك عندما طلبه تشينى « وإنما وافق الرئيس مبارك على ذلك عندما اتصل به كل من الرئيس جورج بوش والملك فهد » ص ٤١٣ .
أى ليس أمراً من بوش الأمريكانى بل وبطلب من أخ عزيز وملك عربى ومعاهدة أمن مشترك الخ الخ .. أعوذ بالله من المتقولين بالإنجليزية .. ولم يرد فى العربية هل سقط قلب الملك

حسين أو طار ..
أهذا تأريخ ؟

أهذا كاتب سياسى أم بهلوان وموظف درجة ثالثة فى وزارة علام بلد متخلف يعتمد على أن الأساتذة لايقرءون لابالعربى ولا بالإنجليزى !

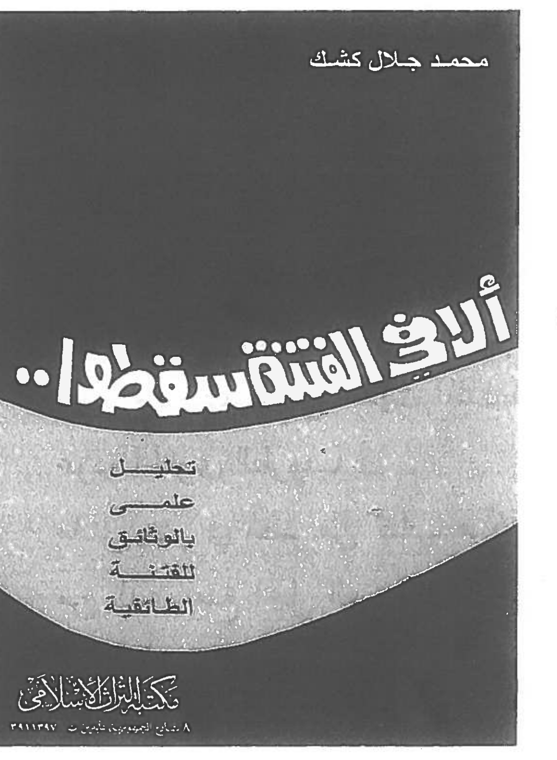
اسحب الكتابين ووارهما التراب كما نصح أبو الأسود ابن أخيه إن كنت تعرفهما ![1] .

(١) الأخبار ٢٠/٥/٩٢ .

الفهـــرس

أول كتاب يفضح دور العلمانيين فى الفتنة

صدر حديثاً



العناصر المعادية للإسلام لا ترى فى الفتنة وحديثها إلا مجرد سلاح تنهش به الإسلاميين والإسلام ذاته .. هذه العناصر تتمنى لو ذبح كل يوم ألف مسيحى لكى يكون ذلك حجة لها فى دعواها ضد الإسلاميين والمسلمين .. فإن لم تقع مذابح طائفية ، سارعوا بنسبة كل حادث يتعرض له مسيحى ، حتى ولو كان زلزالا ، لنشاط المسلمين ؟ ومن ثم فهذه العناصر لا ترغب حقا فى حل مشكلة الفتنة ولا يهمها تحرى الحقيقة ولا الطرح الصحيح للمشكلة . وهم لا يسعهم أن يتحلوا بالموضوعية فهم فى حرب صليبية ، لا مكان فيها ولا حاجة للموضوعية ، ولا يرضيهم ولا يهمهم إلا القضاء على الإسلام وتجريم دعاته . هذا الموقف ليس خاطئا فحسب ، ومن شأنه أن يشعر المسلمين وكأن الإعلام يعاديهم ، بل أخطر من ذلك أنه يخلق شعورا بالاضطهاد لدى الأقباط ، شعورا بأنهم معتدى عليهم .. ضحايا أبرياء مجرد وقود للفتنة رغم أنهم لا يخطئون .. وهو يخفى دور دعاة الفتنة من الجانب المسيحى ويمكنهم من مضاعفة نشاطهم التخريبى .

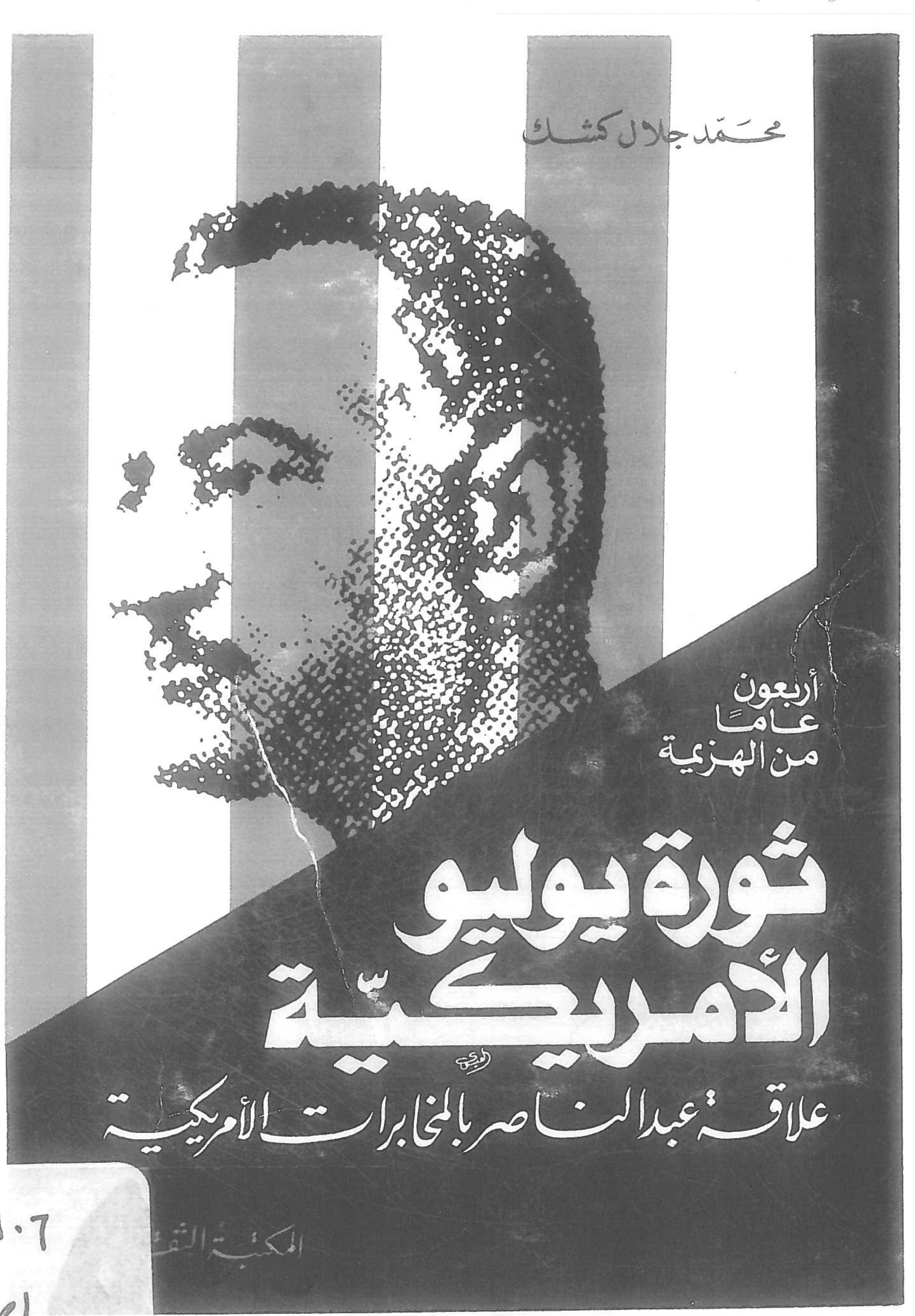
صدر حديثاً

إنهم يذبحون المسلمين ..!

مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك

محمد جلال كشك

صدر حديثاً



محمد جلال كشك
أربعون عاماً من الهزيمة
ثورة يوليو الأمريكية
علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية